البيان اللطيف

على

الروض النظيف

وهو شرح لنظم

السيد حسين بن صالح جمل الليل لمولد النبي الكريم

تأليف

د. سيف علي العصري

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم لك الحمد الذي أنتَ أهله، شرفتنا بالنبي الكريم الذي هو النعمة المسداة، والرحمة المهداة، والصلاة والسلام على أشرف الخلائق، والمرشد إلى الحقائق وأقوم الطرائق سيدنا ومولانا محمدٍ، وعلى آله الكرام، وصحبه الأعلام، وبعد:

فهذا شرح لنظم المولد النبوي الشريف الذي ابتكره السيد حسين بن صالح جمل الليل، وهو نظم بديع رائق، يُشْعل الحب في قلوب الصادقين، بذكر شمائل الحبيب الشريفة، وخصاله المنيفة، أردت أن أتبرك وأتشرف بخدمة هذا المولد بشرح لطيف يناسب عامة المحبين من غير المتخصصين، وهذا أوان الشروع بعون الله.

التعريف بناظم المولد

هو السيد حسين بن صالح بن سالم بن محمد بن علوي الفقيه بن عبد الله بن محمد البوري بن عبد الله باحسن بن محمد المغروم بن سالم بن أحمد بن عبد الرحمن بن علي بن محمد جمل الليل بن حسن المعلم بن محمد أسد الله بن حسن الترابي بن علي بن الفقيه المقدم محمد بن علي بن محمد صاحب مرباط بن علي خالع قسم بن علوي بن محمد بن علوي بن عبيد الله بن أحمد المهاجر بن عيسى بن محمد بن علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن أمير المؤمنين علي رحمة الله وبركاته عليهم أهل البيت إنه حميد مجيد.

الشافعي مذهباً، المكي نشأة، الأشعري عقيدةً، الصوفي مشرباً، كان عالماً فاضلاً، ولد بمكة، وأخذ العلم عن أفاضل أهلها، وتولى منصب مشيخة الخطباء سنة 1299 هجرية من طرف الشريف عبد المطلب بن غالب بن مساعد الحسني من أمراء مكة، ولبث فيه إلى أن توفي سنة 1305 هـ ، وقد قارب التسعين، ودفن بالمعلاة، أخذ عن الشيخ المحدث محمد عابد

السندي وله منه إجازة، وقد أخذ عنه الشيخ أحمد رضا خان البريلوي الهندي، وخلف أولاده الفضلاء: السيد زيني، وصالح، وسالم، وعلوي، وشرف.

وتوفي هذا السيد الشريف والعالم النبيل سنة 845هـ/ 1441م.

وأسرة جمل الليل، من الأسر الحجازية ذات التاريخ المجيد والسجِلّ الحافل في خدمة العلم والمعرفة، ومنتماهم إلى السادة آل باعلوي، من ذرية السبط الشهيد الحسين بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهما. ولقبُ جملِ الليل جاءَهم من جدهم الأعلى، السيد محمد بن حسن باعلوي، وسبب هذا التلقيب أنه كان يقوم الليل وربما قرأ القرآن كله في ليلة، فكأنه اتخذ الليل جملاً، وكان يُلقب بالشَّيْبة، لطول عمره، وإليه تنتسبُ بيوتٌ علوية غلبت عليها ألقابٌ أخرى، منها: آل الجنيد، وآل باحسن، وآل السري، وآل بن سهل، وآل الغصن، وآل القدري.

وللسيد حسين بن صالح جمل الليل صلة خاصة بأهل القوقاز أو القفقاز، فقد أخذ عنه جمع من علماء هذا القطر الإسلامي، وممن أخذ عنه الشيخ بيباتر الشيشاني، والشيخان نور محمد الإنخي وعبد الرحمن الصغوري من الداغستان.

ثم تأكدت هذه الصلة بانتقال بعض ذرية السيد حسين جمل الليل للسكن في الشيشان، وكان انتقالهم بعد عام 1900م، وكان أول من جاء إلى الشيشان ابنا السيد حسين بن صالح وهما علوي وصالح، وحفيده أحمد بن زين العابدين، وأما اليوم فإن عدد الذكور من ذرية السيد حسين بن صالح جمل الليل الذين يسكنون الشيشان يزيدون عن المائة.

ولمزيد الفائدة يُنظر كتاب السيد محمد بن أحمد الشاطري في كتابه اللطيف لأسباب الألقاب والكنى في النسب الشريف لقبائل وبطون السادة بني علوي أدام الله مجدهم، وكتاب أبي الفيض عبد الستار بن عبد الوهاب البكري الصديقي الهندي المكي الحنفي في كتابه «فيض الملك الوهاب المتعالي بأنباء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي» (ص٤٥٠)، وكتاب الشيخ عبد الله مرداد أبو الخير في كتابه «نشر النور والزهر». ومقالة الدكتور المؤرخ محمد باذيب المنشور في مدونته على الانترنت

http://batheebcultural.blogspot.com/2013/05/blog-)
.(post_13.html

سندي إلى ناظم المولد

أروي هذا النظم بالإجازة العامة عن شيخنا السيد عبد الرحمن بن عبد الحي الكتاني عن أحمد رضا خان عن الناظم السيد محمد حسين بن محمد صالح جمل الليل المكي.

مشروعية الاحتفال بالمولد النبوي

المولد الشريف هو بروز سيد الأولين والآخرين سيدنا محمدٍ ﷺ إلى هذه الدنيا في يوم الاثنين من شهر ربيع الأول عام الفيل باتفاق العلماء، إلا خلافاً لا يعتد به ذكره ابن عبد البر عن الزبير بن بكار أنَّ النبي ﷺ ولد في رمضان[1].

وأكثر أهل السير على أنه ولد يوم الثاني عشر من ربيع الأول عام الفيل، بعد الحادثة بخمسين يوما[2]. وقيل: ولد لليلتين خلتا من ربيع الأول، وقيل لثمان خلون منه، وقيل إنه أول اثنين من ربيع الأول.

ولا ريب أنَّ ظهور النبي ﷺ للوجود نعمة عُظمى، أشار إلى عظمتها النبي ﷺ نفسه، فإنه قال لمن سأله عن صيام يوم الاثنين: (ذاك يوم ولدت فيه ويوم بعثت أو أنزل علي فيه) [1]، فعظم النبي ﷺ يوم مولده بالصيام فيه.

---

(1) السيرة النبوية لابن كثير (ص200).

(2) انظر عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير (39/1)، وسبل الهدى والرشاد (333/1).

وتعظيم الأزمنة والأمكنة الفاضلة أمرٌ ثابتٌ مقرر في الشرع، وإذا ثبت فضل الزمان أو المكان شُرِعَ اغتنامه بالتعرض لنفحات الله فيه بالإكثار من الطاعات والعبادات المشروعة.

والمقصود بالاحتفال: الاجتماع على تلاوة القرآن، وإنشاد المدائح النبوية المحركة للقلوب إلى فعل الخيراتِ والعملِ للآخرةِ، مع إطعام الطعام للحاضرين، بقصد شكر الله تعالى على نعمة ميلاد النبي ﷺ، والاحتفال بهذا المعنى حادث، وتحديد زمنِ حدوثه عسير، ومن أقدم ما جاء في ذلك ما أثبته الرَّحالة أبو الحسين محمد بن جبير فقد قال: «والموضع المقدَّس الذي سقط فيه ﷺ ساعة الولادة السعيدة المباركة التي جعلها الله رحمةً للأمة أجمعين ... يفتح هذا الموضع المبارك فيدخله الناس كافَّة متبركين به في شهر ربيع الأول ويوم الاثنين منه، لأنه كان شهر مولد النبي ﷺ وفي اليوم المذكور وُلِدَ ﷺ، وتفتح المواضع المقدسة المذكورة كلُّها، وهو يوم مشهود بمكة دائماً[2]».

وكما هو واضح من تعبير ابن جبير أن الاحتفاء بليلة المولد الشريف كان أمراً موجوداً في مكة قبل رحلته بزمن، وهذا يعد من أقدم ما وصلنا عن تاريخ الاحتفاء بالمولد، لأن دخول ابن جبير مكة كان سنة (579هـ).

ومما ورد أيضاً ما ذكره الحافظ أبو شامة في حوادث سنة (566هـ) عن الرجل الصالح عمر الملَّا[3] أنه كان يحتفل كل سنة بمولد رسول الله ﷺ ، ويحضر في هذا الاحتفال والي الموصل، كما يحضر الشعراء وينشدون في مدح رسول الله ﷺ[4].

وفي مدينة إربل كان الملك الصالح السني أبو سعيد كوكبري[1] الذي ولاه صلاح الدين الأيوبي سنة (586هـ) يعمل المولد الشريف في ربيع الأول، ويبالغ في الاحتفاء والاعتناء به، وقد

---

(1) صحيح مسلم، رقم الحديث 1977.

(2) رحلة ابن جبير (ص ٩٢). تأليف العلامة أبي الحسين محمد بن أحمد بن جُبير الكناني الأندلسي الشاطبي البلنسي، ولد في بلنسية سنة ٥٣٩ هـ، وتوفي سنة ٦١٤ هـ، وكان من علماء الأندلس في الفقه والحديث.

(3) سُمي بذلك لأنه كان يملأ تنانير الجص بأجرة يتقوَّت بها.

(4) الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية (172/2)، طبعة مؤسسة الرسالة.

صنف الإمام أبو الخطاب ابن دحية له مجلداً في المولد النبوي سماه «التنوير في مولد البشير النذير»، فأجازه على ذلك بألف دينار.

وكان أهل المغرب العربي يحتفلون بالمولد، ويرعاه الحكام ويحضره القضاةُ والعلماءُ، وكان أول من أحدث عمل المولد في المغرب في مدينة سبته هم بنو العزفي الذين كانوا في القرن السابع والثامن الهجري[2].

بل كان لهذه المناسبة مراسيمها، وكان يحضرها الأمراء والعلماء والقضاة وغيرهم، ذكر المؤرخ المقريزي في تاريخه أن الظاهر برقوق كان يحتفل بالمولد كل سنة في ليلِ أوَّلِ جمعة من شهر ربيع الأوّل، ووصف ذلك فقال: «فإذا كان وقت ذلك ضربت خيمة عظيمة بهذا الحوض، وجلس السلطان وعن يمينه شيخ الإسلام سراج الدين عمر بن رسلان بن نصر البلقينيّ، ويليه الشيخ المعتقد إبراهيم برهان الدين بن محمد ابن بهادر بن أحمد بن رفاعة المغربيّ، ويليه ولد شيخ الإسلام، ومن دونه وعن يسار السلطان الشيخ أبو عبد الله محمد بن سلامة التوزريّ المغربيّ، ويليه قضاة القضاة الأربعة، وشيوخ العلم، ويجلس الأمراء على بعد من السلطان، فإذا فرغ القرّاء من قراءة القرآن الكريم، قام المنشدون واحداً بعد واحدٍ، وهم يزيدون على عشرين منشداً، فيدفع لكلّ واحد منهم صرّة فيها أربع مئة درهم فضة، ومن كلّ أمير من أمراء الدولة شقة حرير، فإذا انقضت صلاة المغرب مدّت أسمطة الأطعمة الفائقة، فأكلت وحمل ما فيها، ثم مدّت أسمطة الحلوى... ثم يكون تكميل إنشاد المنشدين ووعظهم إلى نحو ثلث الليل، فإذا فرغ المنشدون قام القضاة وانصرفوا[3]».

ومازال المولد النبوي مناسبة يَحْتَفِلُ بها المسلمون في معظم البلاد الإسلامية إلى يومنا هذا.

---

(1) قال ابن كثير في ترجمته في البداية والنهاية (205/١٧): (أحد الأجواد والسادات الكبراء والملوك الأمجاد، له آثار حسنة... وكان يعمل المولد الشريف في ربيع الأول، ويحتفل به احتفالاً هائلاً. وكان مع ذلك شهماً شجاعاً بطلاً عاقلاً عالماً عادلاً رحمه الله).

(2) الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى (152/5).

(3) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (3/ 399).

قال الإمام المحدث السخاوي: «لم يفعله أحد من السلف في القرون الثلاثة، وإنما حدث بعد، ثم لا زال أهل الإسلام من سائر الأقطار والمدن الكبار يعملون المولد، ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات، ويعتنون بقراءة مولده الكريم، ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم[1]».

وقد استحسن جماهير العلماء الاحتفال بهذه الذكرى العطرة، وممن نصَّ على حسن الاحتفال بالمولد الإمام أبو الخطاب ابن دحية وصنف فيه مجلداً، والإمام شيخ الإسلام أبو شامة المقدسي، والإمام القاضي شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني، وقاضي الجماعة الشاطبي، والإمام المفتي عبد الواحد الشريف، والإمام المحدث السخاوي، والعلامة الفقيه محمد ابن أحمد بن منظور، وشيخ الإسلام سراج الدين عمر بن رسلان بن نصر البلقينيّ، والشيخ المعتقد إبراهيم برهان الدين بن محمد بن بهادر بن أحمد بن رفاعة المغربيّ، والشيخ أبو عبد الله محمد بن سلامة التوزريّ المغربيّ، وقضاة المذاهب الأربعة، وشيوخ العلم في عصر الظاهر برقوق، والإمام المحدث الفقيه جلال الدين السيوطي وألف فيه رسالة خاصة.

قال الإمام أبو شامة: «ومن أحسن ما ابتدع في زماننا من هذا القبيل ما كان يفعل بمدينة إربل جبرها الله تعالى كل عام في اليوم الموافق ليوم مولد النبي ﷺ من الصدقات والمعروف وإظهار الزينة والسرور، فان ذلك مع ما فيه من الإحسان إلى الفقراء مشعر بمحبة النبي ﷺ وتعظيمه وجلالته في قلب فاعله، وشكرا لله تعالى على ما من به من إيجاد رسوله الذي أرسله رحمة للعالمين ﷺ وعلى جميع المرسلين، وكان أول من فعل ذلك بالموصل الشيخ عمر بن محمد الملا أحد الصالحين المشهورين وبه اقتدى في ذلك صاحب إربل وغيره[2]».

وسُئِلَ الإمام شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني عن عمل المولد فأجاب بما نصه: «أصل عمل المولد بدعة لم تُنْقَل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة الصحابة والتابعين وتابع التابعين ولكنها مع ذلك قد اشتملت على محاسنَ وضدِّها، فمن تَحَرَّى في عملها المحاسن وتجنَّب ضدَّها كان بدعةً حسنة وإلا فلا.

---

(1) سبل الهدى والرشاد للصالحي (362/1).

(2) الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة (ص23).

وقد ظهر لي تخريجها على أصل ثابت، وهو ما ثبت في الصحيحين من أن النبيَّ ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا: هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونجَّى موسى، فنحن نصومه شكرًا لله تعالى. فيُستفاد منه فعل الشكر لله على ما مَنَّ به في يوم معين من إسداء نعمة أو دفع نِقْمة، ويُعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سَنَة. والشكر لله يحصل بأنواع العبادة كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة، وأيَّة نعمة أعظم من النعمة ببروز هذا النبيّ نبيّ الرحمة في ذلك اليوم، وعلى هذا فينبغي أن يتحرى اليوم بعينه حتى يطابق قصة موسى في يوم عاشوراء، ومن لم يلاحظ ذلك لا يبالي بعمل المولد في أي يوم من الشهر، بل توسع قوم فنقلوه إلى يوم من السنة، وفيه ما فيه. فهذا ما يتعلق بأصل عمله.

وأما ما يعمل فيه فينبغي أن يقتصر فيه على ما يفهم الشكر لله تعالى من نحو ما تقدم ذكره من التلاوة والإطعام والصدقة وإنشاد شيء من المدائح النبوية والزهدية المحركة للقلوب إلى فعل الخير والعمل للآخرة، وأما ما يتبع ذلك من السماع واللهو وغير ذلك فينبغي أن يقال: ما كان من ذلك مباحا بحيث يقتضي السرور بذلك اليوم لا بأس بإلحاقه به، وما كان حراما أو مكروها فيمنع، وكذا ما كان خلاف الأولى[1]».

ولا يصح الاحتجاج على منع الاحتفال بالمولد بحجة أنَّ أوَّلَ من أحدثه الفاطميون، لأن مجرد السبق إلى فعل أمرٍ من صالحٍ أو طالحٍ لا يفيد جواز ذلك الأمر أو منعه، بل يُعرَض ذلك الأمر الحادث على نصوص الشرع وقواعده، فما كان حقه القبول قبلناه، وما صادم الشرع وقواعده رفضناه.

والاحتفال بالمولد ليس إلا تلاوة قرآن، وقراءة للسيرة العطرة، وإطعاماً للطعام، وكلها أمور مشروعة، فلا وجه لجعل ذلك ضلالةً.

كما لا يصح الاحتجاج على منعِ الاحتفالِ بالمولدِ بما يقع فيه من المخالفات، لأن الواجب هو منع المخالفات لا أصل الاحتفال، كما أننا لا نحرم حفلات الأعراس، ولكن نمنع ما

---

(1) الحاوي للفتاوي للسيوطي (229/1).

يقع فيها من المخالفات الشرعية، قال الإمام السيوطي: «غير أن التحريم فيه إنما جاء من قبل هذه الأشياء المحرمة التي ضمت إليه لا من حيث الاجتماع لإظهار شعار المولد، بل لو وقع مثل هذه الأمور في الاجتماع لصلاة الجمعة مثلا لكانت قبيحة شنيعة، ولا يلزم من ذلك ذم أصل الاجتماع لصلاة الجمعة، كما هو واضح، وقد رأينا بعض هذه الأمور يقع في ليالي رمضان عند اجتماع الناس لصلاة التراويح، فهل يتصور ذم الاجتماع لصلاة التراويح لأجل هذه الأمور التي قرنت بها؟ كلا بل نقول: أصل الاجتماع لصلاة التراويح سنة وقربة، وما ضم إليها من هذه الأمور قبيح وشنيع، وكذلك نقول: أصل الاجتماع لإظهار شعار المولد مندوب وقربة، وما ضم إليه من هذه الأمور مذموم وممنوع[1]».

كما لا يصح مَنْعُ الاحتفالِ بالمولدِ بِحُجَّة أنَّ يوم مولده هو يوم وفاته، قال الإمام السيوطي: «إن ولادته ﷺ أعظم النعم، ووفاته أعظم المصائب لنا، والشريعة حثت على إظهار شكر النعم، والصبر والسكون عند المصائب، وقد أمر الشرع بالعقيقة عند الولادة وهي إظهار شكر وفرح بالمولود، ولم يأمر عند الموت بذبح عقيقة ولا بغيره. بل نهى عن النياحة وإظهار الجزع، فدلت قواعد الشريعة على أنه يحسن في هذا الشهر إظهار الفرح بولادته ﷺ دون إظهار الحزن بوفاته[2]».

ولا يصح مَنْعُ الاحتفالِ بالمولدِ بِحُجَّة أنَّ الصحابة والتابعين لم يفعلوه مع كونهم أشد حباً للرسول ﷺ، فإن الاحتفال بالمولد وما يحدث فيه ينبغي أن يُسْلَكَ به مسلك الأمور الحادثة، فما كان منها مخالفاً للكتاب أو السنة أو الإجماع فهو بدعةُ ضلالةٍ، وما أحدث من الخير لا يخالف شيئا من ذلك فهو غير مذموم، والمولد النبوي يستند إلى أصول شرعية سبق ذكرها، وعليه فإحداثه ليس بدعة مذمومة ولو لم يعمل به السلف. قال الإمام المفسر القرطبي المالكي:

---

(1) الحاوي للفتاوي للسيوطي (226/1).

(2) الحاوي للفتاوي للسيوطي (226/1).

«كل بدعة صدرت من مخلوق فلا يخلو أن يكون لها أصل في الشرع أو لا، فإن كان لها أصل كانت واقعة تحت عموم ما ندب الله إليه وحض رسوله عليه، فهي في حيز المدح[1]».

وقد كان سيد العلماء الإمام مالك بن أنس رحمه الله ورضي عنه لا يركب بالمدينة دابة، وهذا فعلٌ أحدثه الإمام مالك لم يفعله الصحابة الذين هم أشد محبة لرسول الله ﷺ، ومع ذلك لم ير الإمام مالك بأساً في فعله، ولم ينكر عليه أحدٌ من العلماء ذلك، قال الإمام القاضي عياض المالكي: «كان مالك رحمه الله لا يركب بالمدينة دابة وكان يقول: أستحي من الله أن أطأ تربة فيها رسول الله ﷺ بحافر دابة[2]».

والصحابة رضي الله عنهم وإنْ كانوا لم يحتفلوا بهذه المناسبة الشريفة بهذه الهيئة المعروفة فقد كانوا يجتمعون احتفاءً بالنبي ﷺ، يتدارسون أيامه ومواقفه، ويحمدون الله تعالى على نعمةِ مبعثه ﷺ، وعبَّروا عن ذلك بقولهم: (جلسنا ندعو الله ونحمده على ما هدانا لدينه، ومن علينا بك) [3].

ويحسن هنا أنْ نقولَ ما قاله الإمام الذهبي في مسألة مس القبر الشريف، قال: «فإن قيل: فهلا فعل ذلك الصحابة؟ قيل: لأنهم عاينوه حيا وتملوا به وقبلوا يده وكادوا يقتتلون على وضوئه واقتسموا شعره المطهر يوم الحج الأكبر، وكان إذا تنخم لا تكاد نخامته تقع إلا في يد رجل فيدلك بها وجهه، ونحن فلما لم يصح لنا مثل هذا النصيب الأوفر ترامينا على قبره بالالتزام والتبجيل والاستلام والتقبيل[4]».

وحدوث الاحتفال بالمولد بعدَ زمَنِ الصحابة لا يعني أنَّ هؤلاء الذين أحدثوه أهدى سبيلاً، أو أكثر محبة لرسول الله ﷺ من الصحابة الذين لم يفعلوا الاحتفال بهذه الهيئة؛ وذلك لأنَّ وجودَ فضيلةٍ عندَ المتأخِّرِ لا يُفيدُ أفضليته المطلقة، فقد جمعَ أبو بكرٍ القرآن ولم يجمَعْه رسول

---

(1) الجامع لأحكام القرآن (87/2).

(2) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (57/2).

(3) مسند أحمد وسنن النسائي.

(4) معجم الشيوخ الكبير للذهبي (73/1).

الله ﷺ، وجمعَ عمر الناس للتراويح ولمْ يجمعهم أبو بكرٍ، وأحدثَ عثمانُ الأذان الثاني ولم يفعله عمر، وهكذا، وقد نبه العلماء على ما سبق، قال العلامة القاري الحنفي: «ولا ينافي أنْ يكونَ في المفضول مزِيَّةً مِنْ وَجهٍ على الأفضل فتأمل، فإنه موضع زلل ومحلُّ خطل» [1].

ومِنْ قبله قال الحافظ ابن حجر: «الزيادةُ في صفةٍ من صفات الفضل لا تقتضي الأفضلية المطلقة»[2]. ومِنْ قبلهما نبَّهَ الإمام القرافي في كتابه الفروق على الفرق بين قاعدة الأفضلية وقاعدة المزية[3].

(1) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (862/3).

(2) فتح الباري شرح صحيح البخاري (49/9).

(3) الفروق للقرافي (144/2).

متن المولد الشريف

(الروض النظيف)

بسم الله الرحمن الرحيم

حَمْدَاً لِمَنْ أُبْدِعَتْ مِنْ صُنْعِهِ الصُّوَرُ * وَلا يُحِيْطُ بِهِ فِي كُنْهِهِ بَشَرُ

سُبْحَانَهُ مِنْ إلَهٍ خَصَّنَا كَرَمَاً * بِالْمُصْطَفَى مَنْ بِهِ فِي الْحَشْرِ نَفْتَخِرُ

فَهْوَ الّذِي قَدْ أَتَانَا رَحْمَةً وَأَتَتْ * بُحُسْنِ أَوْصَافِهِ الآيَاتُ والسُّوَرُ

صَلَّىَ عَلَيْهِ إِلَهُ الْعَرْشِ خَالِقُنَا * وآلهِ مَنْ لِوَاءَ الحقّ قَدْ نَشَرُوا

مَا لَاحَ بَدْرٌ وَمَا هَبَّتْ نَسِيْمُ صَبَا * وَمَا تَضَوَّعَ مِسْكٌ نَشْرُهُ عَطِرُ

أما حُسَيْنٌ جَمالُ اللَّيلِ مُبتَدِئٌ * في نَظْمِ مَوْلِدِ طَهَ وَهو مُبْتَكِرُ

يَرْجُو مِنَ الله فَضْلاً أنْ يُوَفِقَهُ * في جَمْعِهِ عَلَّهُ بالفَوْزِ يَنْجَبِرُ

هَذا وَقَدْ كَانَ نُورُ الهاشِمِيّ بَدَا * فِيْ وَجْهِ آدَمَ يَعْلُو وهو مُنْسَفِرُ

وَكَانَ يَبْدُو بِأَلْفَي عَامٍ مُتَّضِحاً * مِنْ قَبْلِ تَكْوِيْنِهِ فِيْمَا بِه ذَكَرُوا

وَبْعْدَهُ أمَرَ الأمْلَاكَ خَالِقُنَا * أن يَسْجُدُوا فَأتَوا حَقّا بِمَا أُمِرُوا

فَلَمْ يَزَلْ نُوْرُهُ الوَضَّاحُ مُنْتَقِلاً * فِيْ كُلِّ طَاهِرِ مِيْلَادٍ لَهُ أَثَرُ

حَتّى بَدا مُشْرِقاً مِنْ وَالِدَيْهِ وَقَدْ * تَجَمَّلَت بِحُلاه الشَّمْسُ والقَمَرُ

صَلُّوْا على المصْطَفَى الهَادِيْ بِدَعْوَتِهِ * إلىَ طَرِيْقِ الهُدَى يَامَنْ هُنَا حَضَرُوا

اللّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَيْه

هَذا وَإنَّ رَسُوْلَ اللهِ سَيِّدَنَا * مُحَمَّداً بِابنِ عَبْدِ اللهِ مُشْتَهِرُ

اِبْنِ الْهُمَامِ المسَمَّى عَبْدَ مُطَّلِبٍ * وَهْوَ ابنُ هَاشِمٍ مَنْ بِالفَضْلِ مُتَّزِرُ

وَهْوُ ابنُ عَبْدِ مَنَافٍ طَابَ عُنْصُرُهُ * بِالمِجْدِ نَجْلُ قُصَيٍّ مَنْ لَهُ خَبَرُ

اِبنُ المُسَمَّى كِلَاباً نَجْلُ مُرّة مَنْ * أَبُوْه كَعْبَاً يُسَمَّى زَانَهُ خَفَرُ

إلى لُؤَيٍّ انْتَمَى وَهْوَ ابْنُ غالِبِ مَنْ * أَبُوهُ فِهْرُ الَّذِي سادَتْ بِهِ الْحَضَرُ

وَهْوَ ابْنُ مالِكٍ اِبْنِ النَّضْرِ مَنْ نُسِبَتْ * بِهِ قُرَيْشٌ وَهُمْ مِنْ صُلْبِهِ انْحَصَروا

وَهْوَ ابْنُ ذِي الْفَضْلِ مَنْ يُدْعَى كِنانَةَ رَ * بِّ الْمَكْرُماتِ وَمَنْ يُقْضَى بِهِ الْوَطَرُ

إِلَى خُزَيْمَةَ يُنْمَى نَجْلِ مُدْرِكَةٍ * وَهْوَ ابْنُ إِلْياسَ حَقًّا هَكَذا سَطَرُوا

وَهْوَ ابْنُ مَنْ تَنْتَمِي فَخْراً بِنِسْبَتِهِ * الشُّمُّ الْأَماجِدُ وَهْوَ الْمُنْتَمَى مُضَرُ

أَبُوهُ يُدْعَى نِزارًا وَهْوَ نَجْلُ مَعَدِ * دٍ ابْنِ عَدْنانَ فِي هذا انْتَهَى الْخَبَرُ

صَلُّوا عَلى الْمُصْطَفَى الْهادِي بِدَعْوَتِهِ * إِلَى طَرِيقِ الْهُدَى يا مَنْ هُنا حَضَروا

اللّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَيْه

أَكْرِمْ بِهِ نَسَباً طابَتْ عَناصِرُهُ * أَصْلاً وفَرْعاً وقَدْ سادَتْ بِهِ الْبَشَرُ

مُطَهَّرٌ مِنْ سِفاحِ الْجاهِلِيَّةِ لا * يَشُوبُهُ قَطُّ لا نَقْصٌ ولا كَدَرُ

ما فِيهِ إِلّا هُمامٌ قَدْ سَما عِظَماً * أَوْ سَيِّدٌ نَحْوَ فِعْلِ الْخَيْرِ مُبْتَدِرُ

هَذا وقَدْ حَمَلَتْ أُمُّ الْحَبِيبِ بِهِ * ولَيْسَ فِي حَمْلِها كَرْبٌ ولا ضَرَرُ

حتَّى إِذا كَمُلَتْ فِي حَمْلِهِ حَضَرَتْ * آسِيَةٌ مَرْيَمٌ والْحُورُ قَدْ أُمِرُوا

فجاءها الطَّلْقُ فِي عِزٍّ وقَدْ وضَعَتْ * مُحَمَّداً وَهْوَ بِالْأَنْوارِ مُدَّثِّرٌ

هذا محلّ القيام

فاسْتَبْشَرَتْ وَانْجَلَتْ كُلُّ الْوُجُودُ بِه * وأَيْنَعَتْ وزَهَتْ مِنْ حُسْنِهِ الشَّجَرُ

وَاسْتَحْسَنَ الْعُلَما فِيهِ الْقِيامَ لَهُ * تَأَدُّباً فَهْوَ فِيهِ حاضِرٌ ذَكَروا

وجاءَ فِي الْخَبَرِ الْمَرْوِيِّ عَنْهُ كَذا * سَماعُهُ ذِكْرَ مَنْ صَلَّى ويَدَّكِرُ

فَإِنَّهُ صَفْوَةُ الْمَوْلَى وخِيرَتَهُ * وَهْوَ النَّبِيُّ الَّذِي زانَتْ بِهِ الْعُصُرُ

مُحَمَّدٌ أَحْمَدُ الْمَنْسُوبُ مادِحُهُ * إِلَيْهِ فَهْوَ بِهَذا الْفَخْرِ يَفْتَخِرُ

الْفاتِحُ الْخاتِمُ الْهادِي بِدَعْوَتِهِ * إِلَى الْهُدَى ولِدِينِ اللهِ يَنْتَصِرُ

الْحاشِرُ الْعاقِبُ الْماحِي بِبِعْثَتِهِ * عَنَّا الظَّلامَ ولَيْلُ الشِّرْكِ مُنْدَمِرُ

زالَتْ بِمَوْلِدِهِ الْمَيْمُونِ طالِعُهُ * طَوالِعُ النَّحْسِ فَالْخُسْرانُ مُنْحَسِرُ

بَشائِرٌ عِنْدَ أَمْلاكِ السَّماءِ بِهِ * والْجِنِّ والْإِنْسِ فَالدُّنْيا لَهَا زَهَرُ

بُشْرَى لَنا مَعْشَرَ الْإِسْلامِ إِنَّ لَنا * عِزًّا بِهِ وعَلَى مَنْ عَزَّ نَفْتَخِرُ

صَلُّوا عَلَى الْمُصْطَفَى الْهَادِي بِدَعْوَتِهِ * إِلَى طَرِيقِ الْهُدَى يا مَنْ هُنا حَضَرُوا

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَيْه

وانْشَقَّ إِيوانُ كِسْرَى هَيْبَةً وخَبَتْ * نِيرانُ فُرْسٍ فَلا نارٌ ولا شَرَرُ

وغِيضَ ماؤُهُمُ فَازْدادَ غَيْظُهُمُ * فَيا خَسارَتَهُمْ ضَلُّوا وما اعْتَبَرُوا

وباتَتِ الشُّهْبُ تَرْمِي كُلَّ مُسْتَرِقٍ * لِلسَّمْعِ فَهْوَ بِذاكَ الرَّمْيِ يَنْدَحِرُ

ويا هَنا ابْنَةِ سَعْدٍ فَهْيَ قَدْ سَعِدَتْ * سَعادَةً قَدْرُها بَيْنَ الْوَرَى خَطِرُ

إِذ أَرْضَعَتْ خَيْرَ خَلْقِ اللهِ كُلِّهِمِ * هذا هُوَ الْفَوْزُ لا مُلْكٌ ولا وَزَرُ

رَأَتْ لَهُ مُعْجِزاتٍ فِي الرّضاعِ بَدَتْ * وشاهَدَتْ بَرَكاتٍ لَيْسَ تَنْحَصِرُ

وحَدَّثَتْ قَوْمَهُ أَهْلُ الْكِتابِ بِما * يَكُونُ مِنْ شَأْنِهِ مُذْ شَخْصَهُ نَظَرُوا

وفِي خَدِيجَةٍ الْكُبْرَى وقِصَّتِها * عَجائِبٌ يا أُولِي الْأَبْصارِ فَاعْتَبِرُوا

اِخْتارَتِ الْمُصْطَفَى بَعْلاً وَقَدْ نَظَرَتْ * فِي مُعْجِزاتِ رَسُولِ اللهِ تَنْتَشِرُ

وآمَنَتْ وسَمَتْ مِنْ قَبْلِ لا أَحَدٌ * فِي الْكَوْنِ آمَنَ بُشْراها لَها الظَّفَرُ

وعِنْدَما جاءَ جِبْرِيلُ وقالَ لَهُ * اِقْرَأْ وأُنْزِلَتِ الْآياتُ والسُّوَرُ

دَعَا لِدِينِ إِلَهِ الْعَرشِ فَابْتَدَرَتْ * لَمَّا دَعَا زُمَرٌ مِنْ بَعْدِها زُمَرُ

وقامَ يُنْذِرُ قَوْماً خالَفُوا سَفَهاً * وكَذَّبُوا حَسَداً والْحَقَّ هُمْ بَطَرُوا

فَبَرَّأَ اللهُ مِمَّا قَدْ رَمَوهُ بِهِ * وزَوَّرُوهُ فَأَقْوالُ الْعِدا هَذَرُ

وِقايَةُ اللهِ أَغْنَتْ عَنْ مُضاعَفَةٍ * مِنْ الدُّرُوعِ فَما الْأَرْماحُ والْبُتُرُ

صَلُّوا عَلَى الْمُصْطَفَى الْهَادِي بِدَعْوَتِهِ * إِلَى طَرِيقِ الْهُدَى يا مَنْ هُنا حَضَرُوا

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِمْ وبارِكْ عَلَيْه

تَتابَعَتْ لَيْلَةَ الْإِسْرَا لَهُ مِنَحٌ * عَنْ وَصْفِها فُصُحاءُ الْعُرْبِ قَدْ حُصِرُوا

فَيا لَهَا لَيْلَةً جِبْرِيلُ خادِمُهُ * فِيها لَقَدْ طابَ لِلْهادِي بِها السَّمَرُ

وفِي صَبِيحَتِها كانَتْ لِصاحِبِهِ * فِي الْمَكْرُماتِ يَدٌ تَزْهُو بِها السِّيَرُ

وَلْيَهْنِهِ إِذْ هُما فِي الْغارِ مَنْقَبَةٌ * شَرِيفَةٌ ما حَوَاها قَبْلَهُ بَشَرُ

وهاجَرا مِنْهُ لَمَّا حاوَلا سَفَراً * لِطَيْبَةٍ وتَناها عِنْدَها السَّفَرُ

فَسَلْ سُراقَةَ عَنْهُ إِنْ تُرِدْ خَبَراً * وأُمَّ مَعْبَدَ يَحْلُو مِنْهُما الْخَبَرُ

طابَتْ بِهِ طَيْبَةٌ لَمَّا أَ قامَ بِها * وفاحَ حِينَ أَتاها نَشْرُها الْعَطِرُ

وأَشْرَقَتْ أَرْضُها مِنْ نُورِهِ وزَهَتْ * وأَيْنَعَتْ وبَدا فِي رَوْضِها زَهَرُ

لِمْ لا وقَدْ شَرَّفَ الْمُخْتارُ تُرْبَتَها * وَاللهِ حَقٌّ لَها تَعْلُو وَتَفْتَخِرُ

اِخْتارَها وطَناً ما زالَ يَسْكُنُهُ * حَتَى دُعِي بِجِنانٍ حَفَّها النَّهَرُ

وَكانَ مَوْلِدُهُ أَيْضاً ونُقْلَتُهُ * لِيَوْمِ الاثْنِينِ هَذا الْأَمْرُ مُعْتَبَرُ

صَلُّوا عَلَى الْمُصْطَفَى الْهادِي بِدَعْوَتِهِ * إِلَى طَرِيقِ الْهُدَى يا مَنْ هُنا حَضَرُوا
اللّهمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَيْه

فَانْظُرْ لِأَوْصَافِ خَيْرِ الْخَلْقِ فِي مِدَحِي *كَأَنَّها الْوَشْيُ إِذْ تَزْهُو بِهِ الْحِبَرُ

بَرٌّ رَؤُفٌ رَحِيمٌ زانَهُ خُلُقٌ * مِثْلُ النَّسِيمِ فَلا فَظٌّ ولا ضَجِرٌ

يُلْقَى أَشَدَّ حَياءً مِنْ مُخَدَّرَةٍ * عَذْراءَ فِي خِدْرِها قَدْ زانَها الْخَفَرُ

فاقَ النَّبِيّينَ أَخْلاقاً ومُعْجِزَةً * ورُتْبَةً فَلَهُ التَّقْدِيمُ إِنْ حَضَرُوا

مُكَمَّلُ الْخَلْقِ لا خَلْقٌ يُشابِهُهُ * لَهُ اعْتِدالٌ فَلا طُولٌ ولا قِصَرُ

مُشَرَّبٌ لَوْنُهُ الْمُبْيَضُّ مَنْظِرُهُ * بِحُمْرَةٍ ومُحَيّاهُ هُوَ الْقَمَرُ

صَلْتُ الجَبِينِ أَزَجُّ الْحاجِبَيْنِ كَحِي * لُ الْعَيْنِ مِنْ حُسْنِهِ لا يَشْبَعُ النَّظَرُ

أَسِيلُ خَدٍّ مَلِيحُ الثَّغْرِ باسِمُهُ * مُفَلَّجٌ أَبْيَضُ الْأَسْنانِ ما الدُّرَرُ

أَقْنَى أَشَمُّ طَوِيلُ الجِيدِ مُشْرِقُهُ * مِثْلَ اللُّجَيْنِ الْمُصَفَّى ما بِهِ عَكَرُ

ذُو لِحْيَةٍ كِثَّةٍ زانَتْ مَحاسِنَهُ *كَما يَزِينُ عُيُونَ الْغادَةِ الْحَوَرُ

وَلِمَّةٍ تَبْلُغُ الْأُذْنَيْنِ عاطِرَةٍ *كَالْمِسْكِ لَوْناً وَعَرْفاً حِينَ يَنْتَشِرُ

ضَخْمُ الْكَرادِيسِ رَحْبُ الصَّدْرِ واسِعُهُ * تُرى بِهِ شَعَراتٌ خَطَّها الْقَدَرُ

شَثْنُ الْأَكُفِّ خَمِيصُ الْبَطْنِ ذُو عُكَنٍ * مَطْوِيَّةٍ طالَما يَطْوَى بِها الْحَجَرُ

عَبْلُ الذِّراعَيْنِ والسَّاقَيْنِ مُمْتَلِئٌ * إِزارُهُ وَلِنِصْفِ السَّاقِ يَتَّزِرُ

سَجِيَّةٌ عِنْدَما يَمْشِي تَمايُلُهُ * تَخالُ عَنْ صَبَبٍ إِنْ سارَ يَنْحَدِرُ

يَفُوحُ مِنْ عَرَقٍ مِثْلِ الْجُمانِ لَهُ * شَذَى تَظَلُّ الْغَوانِي مِنْهُ تَعْتَطِرُ

صَلُّوا عَلَى الْمُصْطَفَى الْهادِي بِدَعْوَتِهِ * إِلَى طَرِيقِ الْهُدَى يا مَنْ هُنا حَضَرُوا

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَيْه

قَضَى ولَمْ يَكُ يَوْماً مُدْرِكاً شِبَعاً * مِنْ الشَّعِيرِ وكانَتْ فَرْشُهُ الْحُصُرُ

هَذا وقَدْ مُلِّكَ الدُّنْيا بِأَجْمَعِها * فَرَدَّهُ الزُّهْدُ عَنْها وَهْوَ مُقْتَدِرُ

فَالثَّوْبُ يَرْقَعُهُ والشَّاةُ يَحْلِبُها * وما رُؤِي لِأَخِي الْإِعْدامِ يَحْتَقِرُ

وَالْبَيْتُ يَكْنِسُهُ وَالنَّعْلُ يَخْصِفُها * وإِنْ دُعِي أَسْعَفَ الدَّاعِي وَلا يَذَرُ

كانَ الْبُراقُ لَهُ والْخَيْلُ يَرْكَبُها * وَالْإِبْلُ أَيْضاً كَذاكَ الْبَغْلُ وَالْحُمُرُ

ما عابَ قَطُّ طَعاماً أَحْضَرُوهُ لَهُ * وَلا لِسائِلِهِ اللَّحّاحِ يَنْتَهِرُ

يَعْفُو وَيَصْفَحُ عَنْ جانٍ جَنَى كَرَماً * وَيَقْبَلُ الْعُذْرَ مِمَّنْ جاءَ يَعْتَذِرُ

وَلَيْسَ يَغْضَبُ إِلاّ أَنْ تُرَى حُرَمٌ * لِلّهِ مَنْهُوكَةً أَوْ هُتِّكَتْ سُتُرُ

ما أَمَّهُ سائِلٌ يَرْجُو نَدى يَدِهِ * إِلّا انْثَنَى وَهْوَ مُثْرِي الْكَفِّ مُشْتَهِرُ

يَدٌ بِها النَّفْعُ وَالضَّرَّا لِمُعْتَرِفٍ * وجاحِدٍ فَهِيَ الْأَدْواءُ وَالْوَطَرُ

كَمْ أَبْرَأَتْ أَلَماً كَمْ أَذْهَبَتْ لَمَماً * كَمْ أَظْهَرَتْ لِمَماً يَنْمُو لَها شَعَرُ

وكَمْ شَفَتْ سَقَماً كَمْ أَظْهَرَتْ مَدَداً * كَمْ فَرَّجَتْ كَمَداً عَمَّنْ بِهِ عَوَرُ

ودَرَّتِ الشّاةُ مِنْها وَالْحَصَى نَطَقَتْ * فِيها وَأَوْرَقَتِ الْأَغْصانُ وَالشَّجَرُ

وَالْقَوْمُ مِنْ رَمْيِها يَوْمَ اللِّقاءِ عَمُوا * وَمِنْ أَصابِعِها الْأَمْواهُ تَنْفَجِرُ

وَالْماءُ مِنْ رِيقِهِ زادَتْ حَلاوَتُهُ * وَالنَّخْلُ مِنْ عامِهِ أَضْحَى لَهُ ثَمَرٌ

وَالْجِذْعُ حَنَّ إِلَيْهِ حِينَ فارَقَهُ * حَتَّى عَلا مِنْهُ ما بَيْنَ الْمَلا خُوَرُ

وَالذِّئْبُ وَالضَّبُّ كُلٌّ مِنْهُما شَهِدا * شَهادَةَ الْحَقِّ يَرْوِيها لَكَ الْخَبَرُ

وَراحَ يَشْكُو إِلَيهِ جَوْرَ صاحِبِهِ الْ * بَعِيرُ وَالدَّمْعُ مِنْ عَيْنَيْهِ مُنْحَدِرُ

وأَطْعَمَ الْجَيْشَ مِنْ صاعٍ فَأَشْبَعَهُ * وَمِنْهُ أَرْواهُ لَمَّا مَسَّهُ الْعُسُرُ

بِأَمْرِهِ الْغَيْثُ وَالْبَدْرُ الْمُنِيرُ وشَمْ * سُ الْأُفْقِ والظَّبْيُ كُلٌّ ظَلَّ يَأْتَمِرُ

فَلا تَرُمْ حَصْرَ آياتٍ لَهُ ظَهَرَتْ * إِلَّا إِذا كانَ يُحْصَى الرَّمْلُ وَالْمَدَرُ

كَفَى بِمُعْجِزَةِ الْقُرْآنِ مُعْجِزَةً * طُولَ الزَّمانِ غَدا يُتْلَى ويُسْتَطَرُ

فِيهِ تَجَمَّعَتِ الْأَشْيا فَلا صُحُفٌ * إِلَّا وحازَ مَعانِيها ولا زُبُرُ

فَهْوَ الشِّفاءُ الذَّي تَحْيَ النُّفُوسُ بِهِ * قَدْ فازَ مُتَّعِظٌ مِنْهُ ومُدَّكِرُ

صَلُّوا عَلَى الْمُصْطَفَى الْهادِي بِدَعْوَتِهِ * إِلَى طَرِيقِ الْهُدَى يا مَنْ هُنا حَضَرُوا

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَيْه

يا أَكْرَمَ الْخَلْقِ يا نِعْمَ الْمَلاذُ لَنا * إِذا جَهَنَّمُ بِالْكُفَّارِ تَسْتَعِرُ

ضِقْنا بِما هالَنا ذَرْعاً فَهَلْ قَرُبَتْ * عِنايَةٌ مِنْكَ إِنَّ الْكُلَّ مُفْتَقِرُ

إِنْ لَمْ تَكُنْ فِي مُهِمِّ الْخَطْبِ تَنْصُرُنا * فَمَنْ بِهِ يا رَسُولَ اللهِ نَنْتَصِرُ

فَغارَةً يا غِياثَ الْخَلْقِ مُسْرِعَةً * عَلَى الْعِدا لِيَزُولَ الْخَوْفُ وَالْحَذَرُ

ونَجْدَةً مِنْ عَظِيمِ الْكَرْبِ مُنْجِدَةً * مُجِدَّةً فِي السُّرَى يَصْفُو بِها الْكَدَرُ

فَما لَنا مَلْجَأٌ إِلَّا جَنابَكَ يا * خَيْرَ الْبَرِيَّةِ إِذْ يُسْتَعْظَمُ الْخَطَرُ

تاللهِ أُقْسِمُ ما وافاكَ مُنْكَسِرٌ * إِلَّا وأَصْبَحَ مِنْهُ الْكَسْرُ يَنْجَبِرُ

ولَا احتَمَى بِحِمَاكَ الْمُحْتَمِي فَزَعَاً * إلا وَعَادَ بِأَمْنٍ مَالَه خَفَرُ

ولا أتَاكَ فَقِيْرُ الحَالِ ذُو أَمَلٍ * إلا وَفَاضَ مِنَ الاثْرَا لَهُ نَهَرُ

وَلَا أَتَاك امْرؤ مِن ذَنْبِهِ وَجِلٌ * إلا وَعَادَ بِعَفْوٍ وهْوَ مُغْتَفَرُ

وَلَا دَعَاكَ لَهِيْفٌ عِنْدَ نازِلَةٍ * إِلَّا وَلَبَّاهُ مِنْكَ الْعَوْنُ والْيَسَرُ

وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُوْلِ الله نُصْرَتُهُ * فالفَتْحُ مِنْ جُنْدِهِ والنَّصْرُ والظَّفَرُ

هَذا دُعَاءُ الحُسَيْنِ الْمُرْتَجِي جَمَلٍ * اللَّيْل الَّذِي سَادَتِي أنْتُم لَهُ وَزَرُ

دَعَاكُمُ مُسْتَغِيْثاً رَاجِيَا أَمَلاً * فَهَلْ لَهُ مِنْ سَوَارِي لُطْفِكُم نَظَرُ

وسائِلاً نَصْرَ مَوْلانَا وسَيِّدَنَا ال * سُلْطَان عَبْدِ الحَمِيْد فهو يَنْتَصِرُ

وَلْيَنْتَصِر آلُ عُثْمَانٍ وَدَوْلَتُهُم * عَلَى الدَّوامِ إلَى أنْ تُبْعَثَ الصُّوَرُ

وَزَادَ عِزّاً إلَهُ الْعَرْشِ سَادَتَنَا * مُلُوْكَ مَكَّةَ هُمْ أشْرَافُهَا الغُرَرُ

وَمَنَّ بالخَصْبِ فِيْ أسْعَارِ بلْدَتِنَا * أمّ القُرَى بِمُلِثٍّ دَامَ يَنْهَمِرُ

وَعَمَّ كُلَّ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ بِمَا * يَنْهَلُّ بِالْخَيْرِ فِي ساحَاتِهَا المطَرُ

وَلِلَّذِي قَد سَعَى فِي جَمْعِ مَجْلِسِنَا * أَجْرٌ عَظِيْمٌ لِيَومِ الْعَرْضِ مُدَّخَرُ

وَلِلَّذِي كانَ يَتْلُو ثُمَّ سَامِعِهِ * وَكُلِّ مَنْ هَاهُنَا يُقْضَى لَهُ الْوَطَرُ

فاعْطِفْ إلَهِي عَلَيْنَا قَلْبَ سَيِّدِنَا * خَيْرِ الأنَامِ فَمِنْهُ الْعَطْفُ مُنْتَظَرُ

صَلَّى وسَلَّم مَنْ أوْلَاه كُلَّ عُلاً * عَلَيْه ما جَنَّ لَيْلٌ أوْ بَدَا سَحَرُ

وآلِهِ الْغُرِّ والأصْحَابِ أجْمَعِهِم * العابِدِينَ بإخْلاصٍ كَمَا أُمِرُوا

والتَّابِعِيْنَ بإِحْسَانٍ لَهُم وَكَذَا * يَعُمُّ إِلَهِي كُلَّ مَنْ حَضَرُوا

اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه

البيان اللطيف على الروض النظيف

(بسم الله الرحمن الرحيم) ابتدأ الناظم بالبسملة تبركاً بذكر الله، واستعانة به سبحانه، والاسم من السموّ وهو العلوّ. وقيل من الوسم وهو العلامة، (والله) علم لذات مولانا تعالى، وهو أعرف المعارف، وقال كثير من أهل العلم هو الاسم الأعظم، (والرحمن الرحيم) قال ابن عباس: هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر، ومعناهما ذو الرحمة وجمع بينهما للتأكيد، ذكر أحدهما بعد الآخر تطميعا لقلوب الراغبين إليه، ورحمة الله إرادة الخير وإيصال الإحسان لأهله، وكشف

1- حَمْدَاً لِمَنْ أُبْدِعَتْ مِنْ صُنْعِهِ الصُّوَرُ * وَلا يُحِيْطُ بِهِ فِي كُنْهِهِ بَشَرُ

الكروب وغفر الذنوب.

شرع بعد البسملة بالحمدلة، واختار صيغة المصدر لإفادة الدوام والثبات، والله تعالى هو المختص بالحمد على الكمال والحقيقة، المستحق لذلك، المالك له، فهو المتفضل جلَّ جلاله بالنعم الظاهرة والباطنة، {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} [النحل: 53].

وقوله: (لِمَنْ أُبْدِعَتْ مِنْ صُنْعِهِ الصُّوَرُ) هو الله تعالى الخالق المصور، والبديع: من أوجد المخلوقات على غير مثال سابق، {هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} [الحشر: 24]. {هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [آل عمران: 6]، {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} [التين: 4]، {أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ} [الغاشية: 17 – 20].

وبعد أن بين الناظم أن الله تعالى هو الذي خلق المخلوقات وصورها أشار إلى تنزيه الحق سبحانه من أنْ يحيط به بشر، فليس بجسمٍ مُصَورٍ، وَلَا جَوْهَرٍ مَحْدُود مُقَدّر، لا يماثل مَوْجُوداً وَلَا يماثله أو يُشَبِّهَه موجود.

2- سُبْحَانَهُ مِنْ إِلَهٍ خَصَّنَا كَرَمَاً * بِالْمُصْطَفَى مَنْ بِهِ فِي الْحَشْرِ نَفْتَخِرُ

التسبيح هو التقديس والتنزيه عن كل نقص وعيب، وهو هنا يتضمن معنى التعجب مِنْ عظيم فضل الله علينا وتكريمه لنا إذْ خصنا بالنبي ﷺ فجعلنا من المؤمنين به، المحبين له، المتبعين لهديه.

والمصطفى من أشهر أسمائه ﷺ ، قال تعالى: {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} [الحج: 75]، وفي صحيح مسلم من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم).

وروى الحاكم في مستدركه من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : (لما خلق الله الخلق اختار العرب ثم اختار من العرب قريشاً، ثم اختار من قريش بني هاشم ثم اختارني من بني هاشم فأنا خيرة من خيرة).

وقوله: (مَنْ بِهِ فِي الْحَشْرِ نَفْتَخِرُ) الفخر هو: التطاول على الناس بتعديد المناقب، والمباهاة بالمكارم من حسب ونسب وغيرهما إما في المتكلم أو آبائه، وأي فخر وفضيلة تقارب فضيلة محبة النبي ﷺ ومتابعته والانتساب إليه، وهو حبيب الله وخليله، صاحب

المقام المحمود والحوض المورود، والوسيلة، والفضيلة والدرجة الرفيعة، وصاحب التاج والمعراج.

3- فَهْوَ الّذِي قَدْ أَتَانَا رَحْمَةً وَأَتَتْ * بُحُسْنِ أَوْصَافِهِ الآيَاتُ والسُّوَرُ

قوله: (فَهْوَ الّذِي قَدْ أَتَانَا رَحْمَةً) قال الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: 107]، وفي مستدرك الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة» . قال الحاكم: «هذا حديث صحيح».

زَيَّنَ اللهُ حبيبَهُ محمداً ﷺ بزينة الرحمة، إذْ فطره الله على خلق الرحمة في جميع أحوال معاملته لأمته، وفي صحيح مسلم: أن رسول الله لما شج وجهه يوم أحد شق ذلك على أصحابه فقالوا: لو دعوت عليهم فقال: «إني لم أبعث لعانا وإنما بعثت رحمة».

ومن مظاهر رحمته ما أودع الله في شريعته من مقومات الرحمة العامة للخلق كلهم حتى الكفار، ووجه شمول رحمته للكفار تأخير عذاب الاستئصال في الدنيا، وأمنهم من المسخ والخسف والغرق، قال تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ} [الأنفال: 33].

(قوله: وَأَتَتْ * بُحُسْنِ أَوْصَافِهِ الآيَاتُ والسُّوَرُ)، قال الله جل جلاله: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: 4]، فخصَّ الله نبيه ﷺ بفضائل ومحاسن ومناقب، وأكرمه بالأخلاق الحميدة، والآداب الشريفة، التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها، مع وُفُوْرِ عَقْلِه، وذكاء لُبِّهِ، وقوة حواسه، وفصاحة لسانه، وجوده وكرمه وسخاء نفسه وسماحته، وكان النبي ﷺ أشد الناس حياء، والقرآن مملوء بالثناء عليه، فزكى الله فؤاد نبيه بقوله: {مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى} [النجم: 11]، وزكى لسانه فقال: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى} [النجم: 3]، وزكى بصره فقال: {مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى} [النجم: 17].

4- صَلَّى عَلَيْهِ إِلَهُ الْعَرْشِ خَالِقُنَا * وآلِهِ مَنْ لِوَاءَ الحقِّ قَدْ نَشَرُوا

الصلاة من الله بمعنى الرحمة والمغفرة، ومن الملائكة الاستغفار، ومن المؤمنين الدعاء، والمراد بالرحمة منه تعالى غايتها، وهو إفاضة الخير والإحسان.

وقت وجوب الصلاة على النبي ﷺ :

واختلف في وقت وجوب الصلاة على النبي ﷺ على أقوال، قال الإمام الخطيب الشربيني: «واختلف في وقت وجوب الصلاة على النبي ﷺ على أقوال: أحدها: كل صلاة، واختاره الشافعي في التشهد الأخير منها. والثاني: في العمر مرة. والثالث كلما ذكر. واختاره الحليمي من الشافعية، والطحاوي من الحنفية، واللخمي من المالكية، وابن بطة من الحنابلة. الرابع في كل مجلس. والخامس في أول كل دعاء وآخره».

المقصود بالآل:

وآلُهُ ﷺ هم: أقاربه المؤمنون به من بني هاشم والمطلب، وقيل إنَّ الآل في الدعاء المؤمنون به، الذين حملوا لواء الحق ونشروه، واللواء الراية.

5- مَا لَاحَ بَدْرٌ وَمَا هَبَّتْ نَسِيْمُ صَبَا * وَمَا تَضَوَّعَ مِسْكٌ نَشْرُهُ عَطِرُ

أي: إن الصلاة على النبي ﷺ وعلى آله وأتباعه تدوم وتتكرر كلما لاح (أي: ظهر) البدر، والبدر هو القمر عند اكتماله وتمامه.

كما أن الصلاة على الحبيب الأعظم تتكرر مع كل هبوب للنسيم، والنسيم الريح الطيبة، والمقصود أن الصلاة على الحبيب ﷺ تتكرر كلما هبت نسيم صبا؛ وهي ريح لطيفة تأتي من المشرق، قيل: سميت ريح الصَّبَا لأن النفوس تصبو إليها لطيب نسيمها وَرَوْحِهَا. و يقابلها (الدبور) وهي ريح تهب من المغرب يابسة جافية، ليس فيها نداوة.

وقوله: (وَمَا تَضَوَّعَ مِسْكٌ نَشْرُهُ عَطِرُ) أي أنَّ الصلاة على النبي الكريم ﷺ تتكرر كلما تضوع مسك (أي: فاح وانتشر)، والمسك طيب معروف. والنَّشْر: الريح الطيبة.

6- أمَا حُسَيْنٌ جَمالُ اللَّيلِ مُبتَدِئٌ * في نَظْمِ مَوْلِدِ طَهَ وَهو مُبْتَكِرُ

(أما) من حروف التنبيه كما نص على ذلك ابن الحاجب في الكافية وغيره، وفائدتها تحقيق الكلام الذي بعدها، ولا تدخل إلا على الجملة، والفرقُ بينها وبين "ألا"

أن "أمَا" للحال، و"ألا" للاستقبال، والمقصود تنبيه السامع إلى قصده، وهو نظم مولد سيدنا محمدٍ ﷺ، وقوله: (وَهو مُبْتَكِرُ) أي مبادر ومسارع، وقد سبق التعريف بالناظم في أوَّلِ الكتاب.

7- يَرْجُو مِنَ الله فَضْلَاً أنْ يُوَفِّقَهُ * فِي جَمْعِهِ عَلَّهُ بالفَوْزِ يَنْجَبِرُ

أي: يأمل ويطمع من فضل الله أن يوفقه بأن يخلق فيه القدرة على الخير ليتمكن من جمع قصة مولد النبي ﷺ في هذا النظم، ولعل ذلك أن يكون سبباً في تحصيل الفوز برضوان الله والسلامة من عقابه، قوله: «يَنْجَبِرُ» الجبر ضد الكسر.

8- هَذا وَقَدْ كَانَ نُورُ الهاشِمِيِّ بَدَا * فِيْ وَجْهِ آدَمَ يَعْلُو وهو مُنْسَفِرُ

قوله: (نُورُ الهاشِمِيِّ) أي: نور نبينا محمدٍ ﷺ ، والهاشمي نسبة إلى جده الثاني هاشم واسم هاشم عمرو بن عبد مناف، وسمي هاشماً لهشمه الخبز اليابس لقومه، وتوفي بغزة عند أن سافر للتجارة. والناظم يشير بهذا البيت إلى ما ذكره الإمام الرازي في تفسيره «مفاتيح الغيب» أن الملائكة أمروا بالسجود لآدم لأجلِ أنَّ نورَ محمدٍ عليه الصلاة والسلام في جبهة آدم[1].

9- وَكَانَ يَبْدُو بِأَلْفَي عَامٍ مُتَّضِحَاً * مِنْ قَبْلِ تَكْوِيْنِهِ فِيْمَا بِه ذَكَرُوا

يشير بهذا إلى ما رواه الإمام الآجري في الشريعة بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن قريشا كانت نورا بين يدي الله عز وجل قبل أن يخلق آدم بألفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه، فلما خلق الله عز وجل آدم ألقى ذلك النور في صلبه، فقال رسول الله ﷺ : (فأهبطني الله عز وجل إلى الأرض في صلب آدم، وجعلني في صلب نوح في سفينته،

---

(1) وهذا أمر ذكره العلماء، وممن ذكره الإمام شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (743هـ) في شرحه لمشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، والإمام بدر الدين العيني (المتوفى: 855هـ) في شرحه لصحيح البخاري المسمى «عمدة القاري شرح صحيح البخاري»، والعلامة ملا علي القاري الحنفي (المتوفى: 1014هـ) في كتابه مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ولم أقف على مستندٍ لذلك، وقوله: (وهو مُنْسَفِرُ) أي منيرٌ مُشرقٌ سروراً وحسناً، وأما حديث جابر رضي الله عنه فجماهير المحدثين على أنه باطل لا أصل له.

وقذف بي في النار في صلب إبراهيم عليه السلام، ثم لم يزل ينقلني في الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة، حتى أخرجني من بين أبوي، ولم يلتقيا على سفاح قط)[1].

10- وَبَعْدَهُ أمَرَ الأمْلَاكَ خَالِقُنَا * أن يَسْجُدُوا فَأَتَوا حَقّا بِمَا أُمِرُوا

قال تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا} [البقرة: 34]، وقال سبحانه: {إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (71) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (72) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ} [ص: 71 – 73].

والأمْلاك جمع لملك، كما يجمع أيضاً على ملائكة، وهي عند أهل السنة: أجسام نورانية لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة، لهم قدرة على التشكلات بالصور غير الخسيسة، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

11- فَلَمْ يَزَلْ نُوْرُهُ الوَضَّاحُ مُنْتَقِلاً * فِيْ كُلِّ طَاهِرِ مِيْلَادٍ لَهُ أَثَرُ

12- حَتّى بَدا مُشْرِقاً مِنْ وَالِدَيْهِ وَقَدْ * تَجَمَّلَت بِجُلاه الشَّمْسُ والقَمَرُ

رفع الله عز وجل قدر نبينا محمدٍ ﷺ وصانه عن نكاح الجاهلية، ونقله في الأصلاب الطاهرة بالنكاح الصحيح من لدن آدم حتى ظهر نوره للعالم، فعن ابن عباس رضي الله عنهما في

---

(1) رواه الآجري في الشريعة (1419/3). وذكره البوصيري في الإتحاف، وعزاه لابن أبي عمر، ورواه الإمام ابن كثير في السيرة النبوية والبداية والنهاية عن ابن عساكر، ثم قال: قال الحافظ ابن عساكر: هذا حديث غريب جدا. ثم قال ابن كثير: قلت: بل منكر جدا.

وقال الإمام ابن الجوزي في الموضوعات (281/1): «هذا حديث موضوع قد وضعه بعض القصاص، وهناد لا يوثق به ولعله من وضع شيخه أو من شيخ شيخه، على أن علي بن عاصم قد قال فيه: يزيد بن هارون ما زلنا نعرفه بالكذب».

وأما حديث جابر والذي فيه أن النبي ﷺ قال: (يا جابر، إن الله تعالى قد خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره) فهو حديث موضوع لا يجوز نسبته إلى رسول الله ﷺ.

تفسير قوله تعالى: {وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ} [الشعراء: 219] قال: (من نبي إلى نبي حتى أخرجت نبيا)[1].

ولفظه عند الآجري في الشريعة: (ما زال رسول الله ﷺ يتقلب في أصلاب الأنبياء حتى ولدته أمه).

وفي مسند أحمد وصحيح ابن حبان ومستدرك الحاكم ومسند البزار ومعجم الطبراني الكبير عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (إني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأنبئكم بتأويل ذلك، دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى قومه، ورؤيا أمي التي رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام، وكذلك ترى أمهات النبيين صلوات الله عليهم) [2].

وقوله في الحديث: «ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني» قال العلماء: يحتمل أن يراد بالرؤيا الرؤية في المنام، وعلى هذا فمعنى (وضعت) أي قربت من الوضع، ويحتمل أن تكون في اليقظة، وعلى هذا فيكون المعنى أنه ظهر لآمنة نور أضاء من ذلك النور قصور الشام.

قال الإمام القاضي عياض المالكي في الشفا في الفصل التاسع والعشرين ما حدث عند مولده ﷺ : «وما رأته من النور الذي خرج معه عند ولادته، وما رأته إذ ذاك أم عثمان بن أبي العاص من تدلي النجوم وظهور النور عند ولادته حتى ما تنظر إلا النور، وقول الشَفَّاء أم عبد

---

(1) المعجم الكبير للطبراني (362/11)، وأخرجه الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (101/12)، وابن الأعرابي في معجمه (2/٨٤٩). قال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (86/7): « رواه البزار والطبراني، ورجالهما رجال الصحيح غير شبيب بن بشر وهو ثقة».

(2) قال الإمام الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (81/1): (فحديث عرباض بن سارية رواه ابن حيان في صحيحه ... وكذلك رواه الحاكم في مستدركه في تفسير سورة الأحزاب وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ورواه أحمد في مسنده، والطبراني في معجمه، وابن راهويه في مسنده، وأبو يعلى الموصلي في مسنده، والبزار في مسنده، وقال: وسعيد بن سويد ليس به بأس، ورواه البيهقي في شعب الإيمان وفي دلائل النبوة). وقال الإمام نور الدين الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (8/ 223): (وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح، غير سعيد بن سويد وقد وثقه ابن حبان).

الرحمن بن عوف: لما سقط ﷺ على يدي واستهل سمعت قائلا يقول: رحمك الله، وأضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت إلى قصور الروم»[1].

وذلك النور الذي حصل عند ولادته إشارة إلى ظهور نبوته ما بين المشرق والمغرب واضمحلال الظلم والكفر والضلال.

صَلُّوْا على المصْطَفَى الهَادِيْ بِدَعْوَتِهِ * إِلىَ طَرِيْقِ الهُدَى يَامَنْ هُنَا حَضَرُوا

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَيْه

النسب الشريف لسيدنا رسول الله ﷺ :

13- هَذا وَإِنَّ رَسُوْلَ اللهِ سَيِّدَنَا * مُحَمَّداً بِابنِ عَبْدِ اللهِ مُشْتَهِرُ

ابتدأ الناظم في ذكر نسب النبي الكريم ﷺ ، فقال: (هَذا وَإِنَّ رَسُوْلَ اللهِ سَيِّدَنَا)، وصف الرسول بالسيادة ثابت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال: «أنا سيد الناس يوم القيامة».

قال الإمام النووي في كتاب الأذكار: «اعلم أن السيد يُطلق على الذي يفوق قومَه، ويرتفعُ قدرُه عليهم، ويُطلق على الزعيم والفاضل، ويُطلق على الحليم الذي لا يستفزّه غضبُه، ويُطلق على الكريم، وعلى المالك وعلى الزوج، وقد جاءت أحاديثُ كثيرةٌ بإطلاق سيد على أهل الفضل. فمن ذلك ما رويناه في صحيح البخاري عن أبي بكرةَ رضي الله عنه، أن النبي ﷺ صَعِدَ بالحسن بن عليّ رضي الله عنهما المنبرَ فقال: "إنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ الله تعالى أنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ المسْلِمِينَ".

وروينا في صحيحي البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسولَ الله ﷺ قال للأنصار لما أقبل سعد بن معاذ رضي الله عنه: " قُومُوا إلى سَيِّدِكُمْ " أو " خَيْرِكُمْ " كذا في بعض الروايات " سيّدكم أو خيرِكم " وفي بعضها " سيّدكم " بغير شك... وأما ما وردَ في

(1) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (726/1).

النهي، فما رويناه بالإسناد الصحيح في " سنن أبي دَاود " عن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (لا تَقُولُوا لِلمُنافِقِ سَيِّدٌ، فإنَّه إنْ يَكُ سَيِّداً فَقَدْ أسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ).

قلت: والجمع بين هذه الأحاديث أنه لا بأس بإطلاق فلان سيد، ويا سيدي، وشبه ذلك إذا كان المسوَّد فاضلاً خيّراً، إما بعلم، وإما بصلاح، وإما بغير ذلك، وإن كان فاسقاً، أو متهماً في دينه، أو نحو ذلك، كُره له أن يقال سيّد»(1).

وأما قول النبي ﷺ : «السَّيدُ الله» الذي رواه أحمد وأبو داود والنسائي رداً على من قال له: «أنتَ سيّدُنا» فقال العلماء: إنما قال ذلك النبي ﷺ على طريق التواضع، وكراهة المدح في الوجه، قال الإمام الخطابي: «قوله السيد الله يريد أن السؤدد حقيقة لله عز وجل، وأن الخلق كلهم عبيد له، وإنما منعهم فيما نرى أن يدعوه سيداً مع قوله أنا سيد ولد آدم وقوله لبني قريظة قوموا إلى سيدكم يريد سعد بن معاذ من أجل أنهم قوم حديث عهدهم بالإسلام وكانوا يحسبون أن السيادة بالنبوة كهي بأسباب الدنيا، وكان لهم رؤساء يعظمونهم وينقادون لأمرهم ويسمونهم السادات فعلمهم الثناء عليه وأرشدهم إلى الأدب في ذلك. فقال قولوا بقولكم. يريد قولوا بقول أهل دينكم وملتكم وادعوني نبياً ورسولاً كما سماني الله عز وجل في كتابه، فقال "يا أيها النبي، يا أيها الرسول" ولا تسموني سيداً كما تسمون رؤساءكم وعظماءكم ولا تجعلوني مثلهم فإني لست كأحدهم إذ كانوا يَسُودونكم بأسباب الدنيا وأنا أسودكم بالنبوة والرسالة فسموني نبياً ورسولاً»(2).

وقول الناظم: « مُحَمَّداً بِابنِ عَبْدِ اللهِ مُشْتَهِرُ» (محمد): سمى به نبينا ﷺ لكثرة خصاله المحمودة، سماه جده عبد المطلب بإلهام من الله بذلك، رجاء أن يحمده أهل السماء والأرض.

(1) الأذكار للنووي (ص558).

(2) معالم السنن (112/4).

ووالد النبي ﷺ «عبد الله»، وكنيته: أبو قثم. والقثم من أسمائه ﷺ، مأخوذ من القثم وهو الإعطاء، كما يقال للرجل الجموع للخير: قثوم وقثم. وقيل كنيته: أبو محمد. وقيل أبو أحمد، ويلقّب بالذبيح. ولم تلد آمنة ولا عبد الله غير رسول الله ﷺ.

14- اِبْنِ الْهُمَامِ المسَمَّى عَبْدَ مُطَّلِبٍ * وَهْوَ ابنُ هَاشِمِ مَنْ بِالفَضْلِ مُتَّزِرُ

قوله: «اِبْنِ الْهُمَامِ المسَمَّى عَبْدَ مُطَّلِبٍ» الهمام هو: الْمَلِك العظيم الهمة، ويقال: للسيد، واسم عبد المطلب على الصحيح شيبة الحمد، وقيل: اسمه عامر، وكنيته أبو الحارث.

قوله: «وَهْوَ ابنُ هَاشِمِ مَنْ بِالفَضْلِ مُتَّزِرُ» واسمه عمرو، وإنما قيل له هاشم لأنه كان يهشم الثريد لقومه في أيام الجدب. والثريد هو الطعام من اللحم والخبز، وكان هاشم أفخر قومه وأعلاهم وكانت مائدته منصوبة لا ترفع لا في السراء ولا في الضراء، وكان رجلاً موسراً، وكان يقوم أول يوم من ذي الحجة فيسند ظهره إلى الكعبة من جهة بابها، فيقول: يا معشر قريش أنتم سادة العرب أنساباً، وأنتم أقرب العرب بالعرب أرحاماً، يا معشر قريش إنكم جيران بيت الله أكرمكم الله تعالى بولاية بيته وخصّكم بجواره ... فأكرموا ضيفه وَزُوَّار بيته، فأقروهم وأعينوهم، ولو كان لي مال يحمل ذلك كله كفيتكموه، وأنا مُخْرِجٌ من طيّبِ مالي وحلاله ما لم تُقْطَع فيه رَحِمٌ، ولم يُؤْخَذ بظلمٍ، ولم يدخل فيه حرام فواضعه، فمن شاء منكم أن يفعل مثل ذلك فعل، وأسألكم بحرمة هذا البيت أن لا يخرج رجل منكم من ماله لكرامة زوار بيت الله ومعونتهم إلا طيباً لم يُؤخذ ظلماً ولم يقطع فيه رحم ولم يؤخذ غصباً، ومات هاشم بغزة.

15- وَهْوُ ابنُ عَبْدِ مَنَافٍ طَابَ عُنْصُرُهُ * بِالمجْدِ نَجْلُ قُصَيٍّ مَنْ لَهُ خَبَرُ

ابن عبد مناف اسمه المغيرة، سمي به تفاؤلا أنه يُغِيْرُ على الأعداء، وساد في حياة أبيه، وكان مطاعًا في قريش، ويدعى القمر لجماله. قوله: «طَابَ عُنْصُرُه» العنصر: الحسب والأصل.

قوله: «نَجْلُ قُصَيٍّ مَنْ لَهُ خَبَرُ» نَجْلُ: أي ولد ونَسْل، وقُصَي: أي بعيد، لأنه بَعُدَ عن عشيرته في بلاد قضاعة، واسم قُصَي: زيد. وكنيته أبو شمس، وكان يقال له قمر البطحاء لجماله، وكان يُسمى مجمّعاً، لأنّه أوّل من جمع قريشا من البوادي إلى سكنى مكّة، وكان قُصي مُطَاعاً في

قومه، وكانت إليه الحجابة، والسقاية، والرفادة، والندوة، واللواء، فحاز شرف مكة كله، بل كانت أوامره في قومه من قريش في حياته وبعد موته كالدِّيْنِ المتبع لا يعمل بغيره.

والمقصود بالحجابة: أن تكون مفاتيح الكعبة عنده فلا يدخلها أحد إلا بإذنه، والمقصود بالسقاية: أي سقاية زمزم، وكانوا يصنعون بها شرابا في موسم الحج للحجاج. والمقصود بالرفادة: طعام كانت قريش تجمعه كل عام لأهل الموسم، ويقولون: هم ضيوف الله تعالى. وقوله: «مَنْ لَهُ خَبَرُ» أي: من له سمعة طيبة، وذِكْرٌ حسنٌ بين الناس.

16- اِبنُ المسَمَّى كِلَاباً نَجْلُ مُرّة مَنْ * أَبُوْه كَعْبَاً يُسَمَّى زَانَهُ خَفَرُ

واسم كلاب: حكيم، وقيل: عروة، وقيل: المهذب ، ولقب بكلاب لمحبته كلاب الصيد، وكان أكثر صيده بالكلاب، ويجتمع نسب أمي النبي ﷺ آمنة مع والد النبي ﷺ عبد الله في كلاب، فإنها آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب.

قيل لأبي الرقيش الكلابي الأعرابي لم تسمون أبناءكم بِشَرِّ الأسماء، نحو كلب وذئب، وتُسَمُّون عبيدكم بأحسن الأسماء نحو مرزوق ورباح؟ فقال إنما نسمي أبناءنا لأعدائنا، ونُسَمي عبيدنا لأنفسنا، والمقصود أن الأبناء عدة الأعداء وسهام في نحورهم فاختاروا لهم هذه الأسماء الدالة على الهيبة والقوة.

قوله: «نَجْلُ مُرّة» هذا الاسم منقول من الوصفية إلى الاسمية، فأصله وصفٌ لمذاق الحنظلة والعلقمة، والمقصود بتسميته بذلك الإشارة إلى صعوبة الاعتداء عليه من الخصوم، فهو كالمرارة التي لا يسهل ابتلاعها.

قوله: «مَنْ * أَبُوْه كَعْبَاً يُسَمَّى زَانَهُ خَفَرُ» سمّي بذلك لستره على قومه ولين جانبه لهم، فهو منقول من «كعب القدم» . وقيل منقول من «كعب القناة»، وسمّي بذلك لارتفاعه وشرفه فيهم، وهو أوّل من جمع الناس يوم العروبة– وهو: اسم يوم الجمعة– في الجاهلية اتفاقا. ولم يكن ثمّ صلاة يجمعهم إليها، بل كانت قريش تجتمع إليه في هذا اليوم فيخطبهم. وكان فصيحا يأمرهم

بتعظيم الحرم، ويُذَكِّرُهم بمبعث النبي ﷺ ، ويعلمهم بأنّه من ولده، ويأمرهم باتّباعه والإيمان به. قوله: «زَانَهُ خَفَرُ» أي تزين بكونه خفيراً لقومه، وخفير القوم هو المجير لهم، الذي هم في ضمانه.

17- إِلى لُؤَيِّ انْتَمَى وَهْوَ ابْنُ غالِبِ مَنْ * أَبُوهُ فِهْرُ الَّذِي سادَتْ بِهِ الْحَضَرُ

قوله: «إِلى لُؤَيِّ انْتَمَى» وكنيته أبو كعب، وكان له من الذكور سبعة، وكان لؤي حليماً حكيماً نطق بالحكمة صغيراً.

قوله: «وَهْوَ ابْنُ غالِبِ» وكنيته أبو تيم، وله ولدان لؤي وتيم. قوله: «مَنْ * أَبُوهُ فِهْرُ الَّذِي سادَتْ بِهِ الْحَضَرُ» فِهْر بكسر الفاء وسكون الهاء، والفهر حَجَرٌ مِلء الكف، يُذَكَّر ويُؤَنَّث، وكنيته أبو غالب، وكان رئيس أهل مكة، واسم فِهْر قريش، وإليه تُنْسَب قريش، فما كان فوقه فكناني لا قرشي على ما قاله الإمام محمد بن شهاب الزّهري ونسبه البيهقيّ لأكثر أهل العلم. قال الإمام الزهري: وهو الذي أدركت عليه من أدركت من نُسَّابِ العرب: أن من جاوز فهراً فليس من قريش. وبه قال الشّعبي وهشام بن محمد الكلبي، ومصعب بن عبد الله الزبيريّ وخلق، وصحّحه الحافظ شرف الدين الدمياطي والحافظ أبو الفضل العراقي وغيرهما. وقال الحافظ صلاح الدين العلائيّ: وعليه جمهور أهل النسب.

وقيل: إن قريشاً هم بنو النضر بن كنانة. وإليه ذهب محمد بن إسحاق، وأبو عبيدة معمر بن المثنى، وأبو عبيد القاسم بن سلام. وبه قال الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه وعنهم.

قال الحافظ صلاح الدين العلائي: وهو الصحيح الذي عليه المحققون والحجة له حديث الأشعث بن قيس رضي الله تعالى عنه قال: قدمت على رسول الله ﷺ في وفد كندة فقلت: ألستم منا يا رسول الله؟ قال: (لا نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفوا أمنا ولا ننتفي من أبينا) . رواه ابن ماجة. قال العلائي رجاله ثقات، قال الإمام أبو الفضل زين الدين العراقي في ألفية السيرة:

أمَّا قريشٌ فالأصحُّ فهر ... جماعها، والأكثرون: النّضر

18- وَهْوَ ابْنُ مالِكٍ اِبْنِ النَّضْرِ مَنْ نُسِبَتْ * بِهِ قُرَيْشٌ وَهُمْ مِنْ صُلْبِهِ انْحَصَروا

ومالك كنيته أبو الحارث، وأمه عاتكة، ولم يكن له من الولد غير فهر. النَّضْر: واسمه قيس، ولقّب بالنَّضْر لنضارة وجهه وجماله، ويكنى أبا يَخْلُد، وللنضر أولاد ذكور هم: مالك ويخلد. وبه كان يكنى.

قول الناظم: «مَنْ نُسِبَتْ * بِهِ قُرَيْشٌ وَهُمْ مِنْ صُلْبِهِ انْحَصَروا»، سبق أن هذا القول هو قول الشافعي وصححه العلائي.

19- وَهْوَ ابْنُ ذِي الْفَضْلِ مَنْ يُدْعَى كِنانَةَ رَ * بِّ الْمَكْرُماتِ وَمَنْ يُقْضَى بِهِ الْوَطَرُ

كِنانة: بكسر الكاف ونونين مفتوحتين بينهما ألف ثم هاء، سُمِّيَ بذلك لأنه كان ستراً على قومه كالكنانة الساترة للسهام، ويكنى أبا النضر، وأمه عوانة بنت سعد بن قيس بن عيلان بن مضر. كان كنانة شيخاً مسنّاً عظيم القدر، وكانت العرب تسافر إليه لعلمه وفضله، وكان يُبشر بمقدم الرسول الكريم ﷺ ، ويقول: «قد آن خروج نبي من مكة يدعى أحمد، يدعو إلى الله وإلى البرّ والإحسان ومكارم الأخلاق، فاتّبعوه تزدادوا شرفاً وعزّاً إلى عزكم».

قوله: «وَهْوَ ابْنُ ذِي الْفَضْلِ» الفضل: هو الزيادة، والمقصود هنا: وصفه بالخير والإحسان إلى الآخرين. قوله: «رَبِّ الْمَكْرُماتِ» رب بمعنى صاحب، والمكرمات جمع، وواحدها مَكْرُمَة، وهي الصفات والأخلاق والأفعال الجميلة، قوله: «وَمَنْ يُقْضَى بِهِ الْوَطَرُ» الوطر: الحاجة، والمقصود وصفه بالكرم والنجدة وقضاء حوائج الناس.

20- إِلَى خُزَيْمَةَ يُنْمَى نَجْلِ مُدْرِكَةٍ * وَهْوَ ابْنُ إِلْياسَ حَقًّا هَكَذا سَطَرُوا

قوله: «يُنْمَى» أي: يُنسب كِنَانة إلى خزيمة، وخُزَيْمة يكنى أبا أسد. وأمه سلمى بنت أسلم، وله من الذكور أربعة، وكانت له على الناس مكارم أخلاق وأفضال، روى ابن حبيب بسند جيد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: مات خزيمة على ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

قوله: «نَجْلِ مُدْرِكَةٍ» النجل: الولد والنسل كما سبق، والمقصود أن خزيمة منتسبٌ إلى مُدْرِكَة، ومدركة: بضم الميم وإسكان الدال المهملة وكسر الراء وفتح الكاف ثم هاء مبالغة، واسمه عمرو على الصحيح الذي قال به أكثر العلماء، وكنيته أبو هذيل ويقال له أبو خزيمة.

قوله: «وَهْوَ ابْنُ إِلْياسَ حَقًّا هَكَذا سَطَرُوا» الياس بهمزة وصل تفتح في الابتداء وتسقط في غيره، واللام فيه للتعريف وقيل لِلَمْحِ الصفة، مشتق من اليأس الذي هو ضد الرجاء، وصححه السهيلي، وقال ابن الأنباري: بهمزة قطع في الوصل والابتداء.

واختلف في اشتقاقه، فقيل: من قولهم: رجل أليس وهو الشجاع الذي لا يفر.

21- وَهْوَ ابْنُ مَنْ تَنْتَمِي فَخْراً بِنِسْبَتِهِ * الشُّمِّ الْأَماجِدِ وَهْوَ الْمُنْتَمَى مُضَرُ

قوله: «وَهْوَ ابْنُ مَنْ تَنْتَمِي فَخْراً بِنِسْبَتِهِ * الشُّمِّ الْأَماجِدِ» أي وإلياس هو ابن مضر، الذي يفتخر الشُّمُّ: أي السادة أهل المنزلة والمكانة بالانتساب إليه.

ومُضَر بضم الميم وفتح الضاد المعجمة. وهو غير مصروف للعلمية والعدل عن ماضر. واسمه عمرو. وكنيته أبو إلياس. وأمّه سودة بنت علكّ بن عدنان.

22- أَبُوهُ يُدْعَى نِزارًا وَهْوَ نَجْلُ مَعَدِ * دِ ابْنِ عَدْنانَ فِي هذا انْتَهَى الْخَبَرُ

نِزَار: النَّزْر: هو القليل، وقد كان نزار فريد عصره. وحين وُلِد نظر إليه والده فرأى النور بين عينيه وهو نور النبوة الذي كان ينقل في الأصلاب، ففرح به فرحاً شديداً ونحر وأطعم شيئاً كثيراً وقال: هذا نزر قليل في حق هذا المولود، فسمي نزاراً لذلك.

قوله: «وَهْوَ نَجْلُ مَعَدْ * دِ» : مَعَدّ: وكنيته أبو قضاعة. وقيل أبو نزار. ولما كان زمان بخت نصّر كان لمعدّ بن عدنان ثنتا عشرة سنة. قال الإمام الماوردي في كتابه أعلام النبوة: إنَّ بخت نصر أراد قتل معدّ حين غزا بلاد العرب فأنذره نبي من أنبياء الله تعالى كان في وقته بأن النبوة في ولده. فاستبقاه وأكرمه.

قوله: «ابْنِ عَدْنانَ» مأخوذ من عَدَنَ بالمكان إذا أقام به، وكنيته أبو معدّ، ويقال إنه أول من كسا الكعبة.

قوله: «فِي هذا انْتَهَى الْخَبَرُ» ما سبق من النسب الشريف لسيدنا رسول الله ﷺ هو النسب الصحيح المجمع عليه، وما فوق عدنان إلى نبي الله إسماعيل عليه السلام فيه اضطراب شديد، ولكن لا خلاف أن عدنان من ذرية إسماعيل، وإنما الخلاف في عدد ما بينهما.

وسبب الخلاف في النسب كما قال بعض العلماء: أنه قد جاء أن العرب لم يكونوا أصحاب كتب يرجعون إليها، وإنما كانوا يرجعون إلى حفظهم، فمن ذلك حدث الاختلاف.

صَلُّوا عَلى الْمُصْطَفَى الْهادِي بِدَعْوَتِهِ * إِلَى طَرِيقِ الْهُدَى يا مَنْ هُنا حَضَروا

اللّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَيْه

23- أَكْرِمْ بِهِ نَسَباً طابَتْ عَناصِرُهُ * أَصْلاً وفَرْعاً وقَدْ سادَتْ بِهِ الْبَشَرُ

قوله: «أَكْرِمْ بِهِ» أي: ما أكرمه من نسب، والمقصود إظهار التعجب من هذا النسب الشريف الذي جمع الله فيه معاني الفضل والكمال، وطَهَّرَهُ من كل نقص وكدر، فهو نسب شريف أصولاً وفروعاً، ولا شك أنَّ جوهرةَ هذا النسب، ومبلغَ الكمال فيه هو سيدنا محمد ﷺ ، وصدق من قال:

وكم أبٍ قد عَلا بابنٍ ذُرَى شَرَفٍ ... كما عَلَتْ برسولِ الله عَدنانُ

وقوله: «طابَتْ عَناصِرُهُ» العناصر جمع عنصر، والعنصر الأصل والحسب.

24- مُطَهَّرٌ مِنْ سِفاحِ الْجاهِلِيَّةِ لا * يَشُوبُهُ قَطُّ لا نَقْصٌ ولا كَدَرُ

ومما ورد في ذلك ما رواه البيهقي في السنن الكبرى والطبراني في معجمه الكبير عن بن عباس رضي الله عنهما: قال قال رسول الله ﷺ : (مَا وَلَدَنِي مِنْ سِفَاحِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ شَيْءٌ، مَا وَلَدَنِي إِلَّا نِكَاحٌ كَنِكَاحِ الْإِسْلَامِ)، وفي مصنف ابن أبي شيبة وسنن البيهقي الكبرى أن النبي ﷺ قال: (خرجت من نكاح، لم أخرج من سفاح من لدن آدم، لم يصبني سفاح الجاهلية). وهو في

معجم الطبراني الأوسط بلفظ: (خرجت من نكاح، ولم أخرج من سفاح، من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي)، وهو في الشريعة للآجري بلفظ: (خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي، لم يصبني من سفاح الجاهلية شيء).

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: {وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ} [الشعراء: 219]: «وروى البزار وابن أبي حاتم، من طريقين، عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية: يعني تقلبه من صلب نبي إلى صلب نبي، حتى أخرجه نبيا».

قال الناظم:

25- ما فِيهِ إِلّا هُمامٌ قَدْ سَما عِظَماً * أَوْ سَيِّدٌ نَحْوَ فِعْلِ الْخَيْرِ مُبْتَدِرُ

أي: ليس في سلسلة نسب النبي ﷺ إلا سادة أفاضل أصحاب هِمَمٍ عالية، ومنازل سامية، مسارعون في الفضائل والكمالات. والْهُمَام: الملك عظيم الهِمَّة.

حمله وولادته ﷺ :

26- هَذا وقَدْ حَمَلَتْ أُمُّ الْحَبِيبِ بِهِ * ولَيْسَ فِي حَمْلِها كَرْبٌ ولا ضَرَرُ

ذكر الإمام ابن كثير في السيرة النبوية عن الواقدي من عدة طرق أن آمنة بنت وهب لما حملت برسول الله ﷺ لم تجد له مشقة حتى وضعته.

قال الإمام جلال الدين السيوطي في الخصائص الكبرى: «وأخرج ابن سعد وابن عساكر عن ابن عباس ان آمنة قالت لقد علقت به فما وجدت له مشقة حتى وضعته، فلما فصل مني خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق إلى المغرب، ثم وقع على الأرض معتمداً على يديه، ثم أخذ قبضة من تراب فقبضها ورفع رأسه إلى السماء».

ولكن جاء في حديث شداد بن أوس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (إني دعوة أبي إبراهيم، وبشر بي أخي عيسى ابن مريم، وإن أمي حملتني، وإني كنت بكر أمي، حملتني كأثقل ما

تحمل النساء حتى جعلت تشتكي إلى صواحباتها ثقل ما تجد ...). وهو حديث أخرجه الآجري في الشريعة، وأبو يعلى الموصلي في مسنده.

قال الإمام القسطلاني في المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: «وجمع أبو نعيم الحافظ بينهما: بأن الثقل كان في ابتداء علوقها به، والخفة عند استمرار الحمل به، فيكون على الحالين خارجا عن المعتاد المعروف». ونقلَ مثل ذلك الحافظ جلال الدين السيوطي في الخصائص الكبرى.

27- حتَّى إِذا كَمُلَتْ فِي حَمْلِهِ حَضَرَتْ * آسِيَةٌ مَرْيَمٌ والْحُورُ قَدْ أُمِرُوا

جاء في المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للعلامة القسطلاني: «ورواه أبو نعيم من حديث ابن عباس قال: كانت آمنة تحدث وتقول: أتاني أت حين مَرَّ بي من حملي ستة أشهرٍ في المنام، وقال لي يا آمنة إنك حملت بخير العالمين، فإذا ولدتيه فسميه محمداً، واكتمي شأنك، قالت ثم لما أخذني ما يأخذ النساء ولم يعلم بي أحد لا ذكر ولا أنثى، وإني لوحيدة في المنزل، وعبد المطلب في طوافه، فسمعت وجبةً عظيمةً، وأمراً عظيماً هالني، ثم رأيت كأن جناح طائر أبيض قد مسح على فؤادي فذهب عني الرعب وكل وجع أجده، ثم التفت فإذا أنا بشربة بيضاء فتناولتها فأصابني نور عال، ثم رأيت نسوة كالنخل طولا كأنهن من بنات عبد مناف، يحدقن بي، فبينا أنا أتعجب وأنا أقول واغوثاه من أين علمن بي. قال في غير هذه الرواية فقلن لي: نحن آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وهؤلاء من الحور العين ...». والخبر بحضور آسية ومريم مما لم أقف عليه مسنداً فالله أعلم بالحال.

28- فَجاءَها الطَّلْقُ فِي عِزٍ وقَدْ وضَعَتْ * مُحَمَّداً وَهْوَ بِالْأَنْوارِ مُدَّثِّرُ

الطلق هو وجع الولادة، «في عز» أي: مكانة عالية ومنزلة مُنِيْفة، وكيف لا تكون كذلك وهي قد حملت في بطنها أحب وأشرف وأفضل مخلوق خلقه الله عز وجل، كيف لا تكون في عز وهي تضع للبشرية إلى قيام الساعة إمام الهداية والخير والنور والرحمة. قوله: «وقَدْ وضَعَتْ * مُحَمَّداً وَهْوَ بِالْأَنْوارِ مُدَّثِّرُ» أي: أنَّ النور يحيط به حتى أضاءت منه قصور بُصرى من أرض الشام.

محلّ القيام

قال العلامة أبو بكر عثمان بن محمد شطا الدمياطي الشافعي في حاشيته المسماة "إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين" : «جرت العادة أن الناس إذا سمعوا ذكر وضعه ﷺ يقومون تعظيما له، وهذا القيام مستحسن لما فيه من تعظيم النبي ﷺ ، وقد فعل ذلك كثير من علماء الأمة الذين يقتدى بهم».

وقال العلامة علي بن إبراهيم الحلبي في كتابه «إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون»: «وقد وجد القيام عند ذكر اسمه ﷺ من عالِمِ الأمة ومُقْتَدى الأئمة دينا وورعا الإمام تقي الدين السبكي، وتابعه على ذلك مشايخ الإسلام في عصره».

يُشير الحلبي إلى ما ذكره الإمام تاج الدين السبكي في طبقات الشافعية الكبرى بقوله: «وحضر مرة ختمة بالجامع الأموي، وحضرت القضاة وأعيان البلد بين يديه، وهو جالس في محراب الصحابة فأنشد المنشد قصيدة الصرصري التي أولها

قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب.

فلما قال: وأن ينهض الأشراف عند سماعه ... البيت، حصلت للشيخ الإمام حالة وقام واقفا للحال فاحتاج الناس كلهم أن يقوموا فقاموا أجمعون وحصلت ساعة طيبة».

وبيتا الصرصري هما:

قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب * على ورق من خط أحسن من كتب

وأن تنهض الأشرافُ عند سماعه * قياما صفوفا أو جثيا على الركب

وقد وقع الناس في هذا القيام بين الإفراط والتفريط، فمنهم من بالغ في الإنكار لمجرد كونه حادثاً، وهذا لا يصح لأن المحدثات لا تُمْنَع إلا إن صادمت الشرع وخالفت النصوص، وأما ما كان منها لا يخالف الشرع ولا يناهضه ولا يناقضه فليس ممنوعاً، وهذه طريقة جمهور المتقدمين والمتأخرين من أساطين العلماء.

أخرج الإمام أبو نعيم عن الإمام الشافعي أنه قال: «البدعة بدعتان: محمودة ومذمومة، فما وافق السنة فهو محمود، وما خالفها فهو مذموم».

وأخرج البيهقي في مناقب الشافعي أنَّ الشافعي قال: «المحدثات ضربان: ما أحدث يُخالفُ كتاباً أو سنةً أو أثراً أو إجماعاً فهذه بدعة الضلال، وما أحدث من الخير لا يخالف شيئا من ذلك فهذه محدثة غير مذمومة».

وقال الإمام الكبير الفقيه الأصولي سلطان العلماء العز بن عبد السلام في كتابه قواعد الأحكام في مصالح الأنام: «البدعة فعل ما لم يعهد في عصر رسول الله ﷺ. وهي منقسمة إلى: بدعة واجبة، وبدعة محرمة، وبدعة مندوبة، وبدعة مكروهة، وبدعة مباحة، والطريق في معرفة ذلك أن تعرض البدعة على قواعد الشريعة: فإن دخلت في قواعد الإيجاب فهي واجبة، وإن دخلت في قواعد التحريم فهي محرمة، وإن دخلت في قواعد المندوب فهي مندوبة، وإن دخلت في قواعد المكروه فهي مكروهة، وإن دخلت في قواعد المباح فهي مباحة».

وقال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم: «قوله ﷺ: "وكل بدعة ضلالة" هذا عام مخصوص، والمراد غالب البدع ... قال العلماء البدعة خمسة أقسام: واجبة ومندوبة ومحرمة ومكروهة ومباحة».

ومن الناس من بالغ في إثبات القيام حتى جعله معياراً لحب رسول الله ﷺ وتعظيمه، وحكمَ على من لم يقم أو لم ير القيام بالجفاء في حق رسول ﷺ، والحق أن هذا القيام حادث، فمن قام تعظيما لذكر رسول الله رُجِيَ له الثواب، ومن لم يره فلا تثريب عليه، والقول بأن سبب القيام هو حضور الرسول بجسده إلى مجلس المولد لا يصح، ونسبة ذلك إلى الصوفية باطل أيضاً، فليس من أئمة التصوف المعتبرين من يُقرر ذلك.

والقيام لأهل الشرف إكراما وتعظيما لهم مستحب شرعاً، وقد كتب الإمام النووي فيه رسالة أورد فيها الأدلة الشرعية المقررة لذلك.

وقد جرت عادة الناس في زماننا بالقيام احتراماً لأعلام بلدانهم حين السلام الوطني، فهل يُمنع والحال كذلك القيام المُشْعِر بحب النبي ﷺ وتعظيمه، وربما يتأكد القيام إذا ما حضر الإنسان عند قوم اعتادوا القيام، ويرون تركه جفاء، فلا ينبغي له أن يضع نفسه في موضع التهمة، ويثير بذلك الفتنة.

ثم قال الناظم:

29- فاسْتَبْشَرَتْ وَانْجَلَتْ كُلُّ الْوُجُودُ بِه * وأَيْنَعَتْ وزَهَتْ مِنْ حُسْنِهِ الشَّجَرُ

قال الإمام القاضي عياض في الشفا بتعريف حقوق المصطفى: «ما ظهر من الآيات عند مولده، وما حكته أمه ومن حضره من العجائب، وكونه رافعا رأسه عندما وضعته شاخصا ببصره الى السماء وما رأته من النور الذي خرج معه عند ولادته، وما رأته إذ ذاك أم عثمان بن أبي العاص من تدلي النجوم وظهور النور عند ولادته حتى ما تنظر إلا النور، وقول الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف: لما سقط على يدي واستهل سمعت قائلا يقول: رحمك الله، وأضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت إلى قصور الروم، وما تعرفت به حليمة وزوجها، ظئراه من بركته، وورود لبنها له، ولبن شارفها، وخصب غنمها، وسرعة شبابه وحسن نشأته. وما جرى من العجائب ليلة مولده من ارتجاج إيوان كسرى، وسقوط شرفاته، وغيض بحيرة طبرية، وخمود نار فارس، وكان لها ألف عام لم تخمد، وأنه كان إذا أكل مع عمه أبي طالب وآله وهو صغير شبعوا ورووا، فإذا غاب فأكلوا في غيبته لم يشبعوا ...الخ». وبعض ما ذُكِرَ في كلام القاضي عياض مما لم أقف على سند له، والله أعلم بالحال.

30- وَاسْتَحْسَنَ الْعُلَما فِيهِ الْقِيامَ لَهُ * تَأَدُّباً فَهْوَ فِيهِ حاضِرٌ ذَكَروا

إن وجوه التعبير عن الاحترام والتقدير لا تنحصر، وكلٌّ يعبر عن ذلك بذوقه وطريقته التي لا تخرج عن حدود الشرع، فمنهم من كان يعبر عن ذلك بالطرفة والهدية كما كان يفعل الصحابي نعيمان رضي الله عنه، ومنهم من كان يعبر عن ذلك بعدم المشي راكباً في طرق المدينة كما هو المنقول عن الإمام مالك وهو فعل من إمام قدوة، ومنهم من كان يظهر ذلك في حاله،

فكان خالد بن معدان التابعي الذي أدرك سبعين من الصحابة لا يأوي إلى فراش إلا وهو في شوق إلى رسول الله وإلى أصحابه من المهاجرين والأنصار، ويقول: هم أصلي وفصلي، وإليهم يحن قلبي، طال شوقي إليهم، فعجل رب قبضي إليك، حتى يغلبه النوم، والتابعي أيوب السختياني كما يقول الإمام مالك: «كان إذا ذكر النبي بكى حتى أرحمه»، والإمام مالك كان إذا ذكر النبي يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه».

وقول الناظم: «فَهْوَ فِيهِ حاضِرٌ ذَكَروا» أي: أنه يَحسن القيام في المولد تعظيماً لرسول الله ﷺ لكونه حاضراً فيه، فإن كان المقصود حضور روحه الشريفة فذلك ممكن عقلاً جائز شرعاً، قال ابن القيم في كتابه «الروح»: «وقال مالك بلغني أن الروح مرسلة تذهب حيث شاءت» وذكر أقوالاً أخرى عن الإمام أحمد وغيره.

وإذا كان هذا في أرواح عامة المؤمنين فأرواح الأنبياء أحق بذلك، وروح سيدنا محمد ﷺ حقيقة بكل فضل وكمال، ولكن تجويز ذلك شيء، والحكم بوقوع ذلك الجائز شيء آخر، وعليه فالقول بحضوره مما يفتقر إلى الدليل.

وأما القول بحضوره روحه وجسده فمما لم يقله إمام معتبر، وهي دعوى عظيمة، ولو فُتِحَ باب الدعاوى لانفرط العقد واتسع الخرق، ولو فرضنا أنَّ الله تعالى كشف لرجل من أهل الصلاح مشاهدة روح النبي ﷺ فمن أين لنا أن ذلك يحدث في كل مجلس، وفي كل مرة، ومع كل أحد، ولا يجوز لأحد أن يَدَّعِيَ حضور النبي ﷺ كاذباً، فإن ذلك من الكذب على رسول الله ﷺ .

قال الشّيخ العلاّمة محمد سعيد رمضان البوطي رحمه الله في كتاب (هذا والدي) الّذي ترجم فيه لوالده الشّيخ ملاّ رمضان البوطي (ص123): «أما القيام عند ذكر ولادته، فالذي أذكره أنّه في السنوات الأولى من إقامته في دمشق، كان لا يشترك مع الناس في القيام عنده، إذْ كان يراه بدعة دخيلة على مجلس الذّكر الّذي هو الإصغاء إلى سيرة سيدنا رسول الله ﷺ .. ولعله كان يتبع في ذلك ما ذكره ابن حجر الهيتمي في فتاواه الحديثية من أن القيام بحدّ ذاته

بدعة. ولكن اجتهاده في ذلك اختلف فيما بعد، فكان يشترك مع الناس في القيام. وأظن أنّه إنّما عدل عن رأيه الأوّل، ترجيحًا لما لاحظه من القصد إلى تعظيم رسول الله ﷺ بالقيام .. فالتعظيم مشروع بل مطلوب، وأداة التعظيم هي اللغة وما اجتمع عليه عرف الناس مما لا يصادم نصًّا ولا يخالف حكمًا شرعيًّا ثابتاً».

وقال السيد محمد علوي المالكي في كتابه «حول الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف» (ص:25): «أما القيام في المولد النبوي عند ذكر ولادته ﷺ وخروجه إلى الدنيا، فإن بعض الناس يظن ظناً باطلاً لا أصل له عند أهل العلم فيما أعلم بل عند أجهل الناس ممن يحضر المولد ويقوم مع القائمين، وذاك الظن السيء هو أن الناس يقومون معتقدين أن النبي ﷺ يدخل إلى المجلس في تلك اللحظة بجسده الشريف، ويزيد سوء الظن ببعضهم فيرى أن البخور والطيب له، وأن الماء الذي يوضع في وسط المجلس ليشرب منه، وكل هذه الظنون لا تخطر ببال عاقل من المسلمين، وإننا نبرأ إلى الله من كل ذلك لما في ذلك من الجراءة على مقام رسول الله ﷺ والحكم على جسده الشريف بما لا يعتقده إلا ملحد مفتر، وأمور البرزخ لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى.

والنبي ﷺ أعلى من ذلك وأكمل وأجل من أن يُقال في حقه إنه يخرج من قبره ويحضر بجسده في مجلس كذا في ساعة كذا .

أقول: هذا افتراء محض وفيه من الجراءة والوقاحة والقباحة ما لا يصدر إلا من مبغض حاقد أو جاهل معاند.

نعم إننا نعتقد أنه ﷺ حيٌّ حياة برزخية كاملة لائقة بمقامه، وبمقتضى تلك الحياة الكاملة العليا تكون روحه ﷺ جوّالة سيّاحة في ملكوت الله سبحانه وتعالى، ويمكن أن تحضر مجالس الخير ومشاهد النور والعلم، وكذلك أرواح خُلّص المؤمنين من أتباعه، وقد قال الإمام مالك: بلغني أن الروح مرسلة تذهب حيث شاءت ... إذا علمت هذا فاعلم أن القيام في المولد النبوي ليس بواجب ولا سنة ولا يصح اعتقاد ذلك أبداً، وإنما هي حركة يعبّر بها الناس عن فرحهم

وسرورهم فإذا ذكر أنه ﷺ ولد وخرج إلى الدنيا يتصور السامع في تلك اللحظة أن الكون كله يهتز فرحاً وسروراً بهذه النعمة، فيقوم مظهراً لذلك الفرح والسرور معبّراً عنه، فهي مسألة عادية محضة لا دينية، إنها ليست عبادة ولا شريعة ولا سنة وما هي إلا أنْ جرت عادة الناس بها».

31- وجاءَ فِي الْخَبَرِ الْمَرْوِيِّ عَنْهُ كَذا * سَماعُهُ ذِكْرَ مَنْ صَلَّى ويَدَّكِرُ

أي جاء في الأحاديث أن النبي ﷺ يسمع صلاة من صلى عليه، وسلام من سلم عليه، وتعرض عليه أعمال أمته خيرها وشرها، وقوله: «ويَدَّكِرُ»: أي يعتبر ويتفكر ويتذكر.

يدل على ذلك ما رواه الإمام أحمد في مسنده وأبو داود في سننه عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: (ما من أحد يسلم علي، إلا رد الله عز وجل إلي روحي حتى أرد عليه السلام). قال الإمام ابن الملقن في البدر المنير: «رواه أبو داود بإسناد جيد».

وما رواه أحمد في مسنده وأبو داود في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تتخذوا قبري عيدا، ولا تجعلوا بيوتكم قبورا، وحيثما كنتم فصلوا علي، فإن صلاتكم تبلغني).

وما رواه أحمد في مسنده وأبو داود والنسائي وابن ماجه في سننهم عن أوس بن أبي أوس قال: قال رسول الله ﷺ : (من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي).

فقالوا: يا رسول الله، وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت؟ – يعني وقد بليت، قال: (إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء صلوات الله عليهم).

قال الإمام السخاوي في المقاصد الحسنة: «أخرجه أبو داود والنسائي وغيرهما، وصححه ابن خزيمة، وابن حبان والحاكم والنووي وآخرون، ورواه ابن أبي عاصم من حديث الحسين بن علي رضي اللَّه عنهما مرفوعا: صلوا عليَّ، فإن صلاتكم وتسليمكم تبلغني حيثما كنتم، وفي لفظ لأبي يعلى: صلوا عليَّ وسلموا، فإن صلاتكم وسلامكم يبلغني أينما كنتم، وفي لفظ عند الطبراني

في الكبير وابن أبا عاصم أيضا: حيثما كنتم فصلوا عليَّ، فإن صلاتكم تبلغني، وله شواهد، منها عن علي مرفوعا: صلوا عليَّ، فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم، وهو حديث حسن».

وأخرج الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو العتكي المعروف بالبزار المتوفى: 292هـ في مسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام». قال: وقال رسول الله : «حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم، ووفاتي خير لكم تعرض علي أعمالكم، فما رأيت من خير حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم»، وهذا الحديث آخره لا نعلمه يروى عن عبد الله إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد. وحسن إسناده الحافظ العراقي في طرح التثريب.

وفي بعض الآثار أن الأعمال تعرض على الحبيب ﷺ غدوة وعشيًا كما جاء عن التابعي الجليل سعيد بن المسيب، ولا تعارض، إذْ يمكن حَمْلُ عرض الأعمال على الأنبياء والآباء والأمهات يوم الجمعة على وجه الإجمال، والعرض صباحا ومساء على النبي ﷺ على وجه التفصيل كما قال ذلك بعض الأئمة.

32- فإِنَّهُ صَفْوَةُ الْمَوْلَى وخِيرَتَهُ * وَهْوَ النَّبِيُّ الَّذِي زانَتْ بِهِ الْعُصُرُ

بدأ الناظم بذكر بعض أسماء الحبيب ﷺ ، قال العلماء رضي الله تعالى عنهم: كثرة الأسماء دالّة على عظم المسمّى ورفعته، وذلك للعناية به وبشأنه، وغالب هذه الأسماء التي ذكرها العلماء للنبي ﷺ إنما هي أوصاف مدح، كالعاقب والحاشر فإطلاق الاسم عليها مجاز، وقد جمع العلماء ما يزيد على أربعمائة اسم، وكتبوا في ذلك مصنفات خاصة.

قوله: «فإِنَّهُ صَفْوَةُ الْمَوْلَى وخِيرَتَهُ» أي: هو من اختاره الله تعالى على العالمين، وأكرمه بأنواع الكرامات، وخصه بالخصائص الروحانية والجسمانية. قوله: «وَهْوَ النَّبِيُّ الَّذِي زانَتْ بِهِ الْعُصُرُ» تزينت بأخباره الدنيا قبل زمانه وبعده، فهو الذي بشرت به الأنبياء قبل أن يبعث، وفي حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه الذي رواه أحمد في مسنده، وابن حبان في صحيحه، والحاكم في مستدركه، والبزار في مسنده، والطبراني في معجمه الكبير أن رسول الله ﷺ قال: (إني

عند الله خاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأخبركم عن ذلك، دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمي التي رأت وكذلك أمهات النبيين يرين وإن أم رسول الله رأت حين وضعته نورًا أضاءت له قصورا الشام).

33- مُحَمَّدٌ أَحْمَدُ الْمَنْسُوبُ مادِحُهُ * إِلَيْهِ فَهْوَ بِهَذا الْفَخْرِ يَفْتَخِرُ

فمحمد هو الذي كثر حمد الحامدين له. مرةً بعد مرة، وهو الذي تكاملت فيه الخصال المحمودة، وهو أشهر أسمائه ﷺ وأجلّها، ولذلك اختص بأمور منها: أنه يتعين الإتيان به في التشهد، وأنه على أربعة أحرف ليوافق اسم الله تعالى، فإن الاسم الكريم على أربعة أحرف، وأن الله تعالى قرنه مع اسمه، وأنه مشتق من اسم الله «المحمود» كما قال حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه:

وضمّ الإله اسم النبيّ إلى اسمه ... إذا قال في الخمس المؤذّن أشهد

وشقّ له من اسمه ليجلّه ... فذو العرش محمودٌ وهذا محمّد

وأما «أحمد» فهو بمعنى فاعل. أي حمد الله أكثر من حمد غيره له، فمعناه أحمد الحامدين لربه، وهو أيضاً بمعنى مفعول أي أحق الناس وأولاهم بأن يُحْمَد.

وسُمِّيَ النبي ﷺ محمداً وأحمد لأنه محمود عند الله ومحمود عند الملائكة ومحمود عند الأنبياء، ومحمود عند أهل الأرض.

قوله: «الْمَنْسُوبِ مادِحُهُ * إِلَيْهِ فَهْوَ بِهَذا الْفَخْرِ يَفْتَخِرُ» أي: أن الناظم السيد حسين يفتخر بانتسابه إلى رسول الله ﷺ إذْ هو من آل البيت، وينتهي نسبه إلى سيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب.

34- الْفاتِحُ الْخاتِمُ الْهادِي بِدَعْوَتِهِ * إِلَى الْهُدَى ولِدِينِ اللهِ يَنْتَصِرُ

«الفاتح»: سمي النبي ﷺ فاتحاً لأن الله فتح به البلاد وقلوب العباد، فأقام المحجّة البيضاء، ومنع من الظلم والاعتداء، كما أنه فتح البصائر والعقول.

وقد ورد تسميته بذلك في بعض الآثار، فمن ذلك ما رواه الإمام الآجري في الشريعة عن أبي الطفيل قال: قال رسول الله ﷺ : (إن لي عند ربي عز وجل عشرة أسماء) قال: أبو الطفيل: قد حفظت منها ثمانية: محمد وأحمد وأبو القاسم والفاتح والخاتم والماحي والعاقب والحاشر.

ومن ذلك ما رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، والطبراني في الأوسط والشجري في أماليه وأبو القاسم الحربي في فوائده وابن أبي عاصم في جزء الصلاة على النبي ﷺ عن سيدنا علي رضي الله عنه أنه كان يقول: (اللهم يا داحي المدحوات ويا باني المبنيات ويا مرسي المرسيات، ويا جبار القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها، وباسط الرحمة للمتقين، اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك ورأفات تحننك، وعواطف زواكي رحمتك على محمد عبدك ورسولك، الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق وفالج الحق بالحق ...).

وفي مصنف عبد الرزاق وجامع معمر بن راشد وشعب الإيمان للبيهقي أن النبي ﷺ قال: (إنما بعثت فاتحاً وخاتماً وأعطيت جوامع الكلم وفواتحه).

ومن أسمائه «الخاتم» بفتح التاء وكسرها، أما الخاتم بالفتح فمعناه أنه أحسن الأنبياء خلقاً وخلقاً، فهو جمال الأنبياء كالخاتم الذي يُتَجَمَّل به، ويصح أن يُقال: سُمِّي الخاتم لأنه لما انقضت النبوات كان هو كالخاتَم الذي يختم به الكتاب عند الفراغ. وأما الخاتِم بكسر التاء فمعناه آخر الأنبياء، فهو اسم فاعل من قولك ختمت الشيء أي أتممته وبلغت آخره، قال تعالى: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} [الأحزاب: 40].

ولأنه ﷺ خُتِمَ به بناء النبوات والرسالات، ففي الصحيحين عن أبي هريرة وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: (إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين).

وقول الناظم: «الْهَادِي بِدَعْوَتِهِ * إِلَى الْهُدَى» وذلك أن دعوته ودينه وتعاليمه وحياته كلها هداية ورشد وخير وبركة.

وقوله: «ولِدِينِ اللهِ يَنْتَصِرُ» لأنه ﷺ لم يكن ينتصر لنفسه، ولكن إذا حصل التعدي على حدود الله قام نُصْرَةً للحق، وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: (وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تُنْتَهَكَ حرمة الله، فينتقم لله بها).

35- الْحاشِرُ الْعاقِبُ الْماحِي بِبِعْثَتِهِ * عَنَّا الظَّلامَ ولَيْلُ الشِّرْكِ مُنْدَمِرُ

(الحاشر): ورد هذا الاسم في الصحيحين من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (إن لي أسماء، أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد). وقد سماه الله رءوفا رحيماً.

ومعنى «الذي يحشر الناس على قدمي» أي: على زماني وعهدي، إذ ليس بعده نبي. وقيل: يحشر الناس بمشاهدتي، وقال الخطّابي وابن دحية رحمهما الله: معناه على أثري أي أنه يقدمهم وهم خلفه، لأنه أول من تنشق عنه الأرض، ثم يتبعه الناس.

(العاقب): ورد في حديث المطعم السابق في الصحيحين، وفسره النبي ﷺ بأنه الذي ليس بعده نبي، وذلك أنه جاء عقب الأنبياء أي جاء بعدهم.

(الماحي): وذلك أنَّ الله تعالى محا بسيدنا محمد ﷺ الكفرَ من مكة وبلاد العرب وما زوي له من الأرض، كما يمكن أن يُفَسَّر المحو بالظهور والغلبة، فدين النبي ﷺ ظاهر على الأرض كلها بالحجج والبراهين، والكفر مغلوب في جميع الأرض بحجج الحق، كما قال تعالى: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ} [التوبة: 33].

قال الناظم: «الْماحِي بِبِعْثَتِهِ * عَنَّا الظَّلامَ ولَيْلُ الشِّرْكِ مُنْدَمِرُ» وذلك أن الله تعالى بعث نبيه الكريم على فترة من الرسل، وقد أظلمت الدنيا بالشرك وعبادة الأصنام، والبغي والظلم، فكانت رسالته التوحيد، والأمر بمكارم الأخلاق، وصلة الأرحام، والنهي عن الظلم والبغي والعقوق والقطيعة. قوله: « مُنْدَمِرُ» أي هالك.

إرهاصات مولده الشريف ﷺ :

36- زالَتْ بِمَوْلِدِهِ الْمَيْمُونِ طالِعُهُ * طَوالِعُ النَّحْسِ فَالْخُسْرانُ مُنْحَسِرُ

أي زال بمولده الشريف علامات النحس، ووصف المولد الشريف بكونه ميمون الطالع، والميمون أي: المبارك، والطالع أي: الهلال، وقد زالت طوالع النحس بمولده الشريف فارتجَّ إيوان كسرى وسقطت شرفاته، وغاضت بحيرة ساوة، وخمدت نار فارس وكان لها ألف عام لم تخمد، إلى غير ذلك من البشارات والعلامات.

قوله: « فَالْخُسْرانُ مُنْحَسِرُ» الخسران هو النقص والضلال، والانحسار التراجع والتقلص والزوال والنقص، وذلك أن جميع أسباب الخسران والضلال زالت أو انحسرت من يوم مبعثه ﷺ.

37- بَشائِرٌ عِنْدَ أَمْلاكِ السَّماءِ بِهِ * والْجِنِّ والْإِنْسِ فَالدُّنْيا لَهَا زَهَرُ

قال الإمام السيوطي في الخصائص الكبرى: «أخرج أبو نعيم عن عمرو بن قتيبة قال سمعت أبي وكان من أوعية العلم قال: لما حضرت ولادة آمنة قال الله لملائكته افتحوا ابواب السماء كلها، وأبواب الجنان كلها، وأمر الله الملائكة بالحضور فنزلت تبشر بعضها بعضاً». قوله: «فَالدُّنْيا لَهَا زَهَرُ» أي: فالدنيا لها جمال وبهاء وزينة بمولد حبيب الله تعالى ﷺ.

38- بُشْرَى لَنا مَعْشَرَ الْإِسْلامِ إِنَّ لَنا * عِزًّا بِهِ وعَلَى مَنْ عَزَّ نَفْتَخِرُ

البشرى هي الخبر السار، وذلك أن النفس إذا سُرَّت انتشر الدم كانتشار الماء في الشجر، ويظهر السرور في بشرة الوجه، ثم استعملت البشارة في عموم الخبر ولو كان شراً كقوله تعالى: {فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [آل عمران: 21].

وقوله «معشر الإسلام» أي: معشر أهل الإسلام، فالبشرى لجميع المسلمين بمتابعتهم لحبيب الله سيدنا محمد ﷺ، ولنا عز عظيم وشرف فخيم بالانتساب إلى رسول الله ﷺ ، قال القاضي عياض:

ومما زادني شرفاً وتيها ... وكدت بأخمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك «يا عبادي» ... وأن صيّرتَ أحمدَ لي نَبِيًّا

فنحن بانتسابنا لرسول الله ﷺ نتفوق على كل من افتخر بالانتماء إلى ما سواه من الأشخاص والأفكار الأرضية.

صَلُّوا عَلَى الْمُصْطَفَى الْهَادِي بِدَعْوَتِهِ * إِلَى طَرِيقِ الْهُدَى يا مَنْ هُنا حَضَرُوا
اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَيْه

39- وانْشَقَّ إِيوانُ كِسْرَى هَيْبَةً وخَبَتْ * نِيرانُ فُرْسٍ فَلا نارٌ ولا شَرَرُ

قال الإمام البيهقي في كتاب الاعتقاد: «ومن دلائل ما حدث بين يدي أيام مولده ومبعثه من الأمور الغريبة والأكوان العجيبة القادحة في سلطان أمة الكفر، والموهنة لكلمتهم، المؤيدة لشأن العرب، المنوهة بذكرهم، كأمر الفيل وما أحل الله بحزبه من العقوبة والنكال، ومنها خمود نار فارس، وسقوط شرفات إيوان كسرى، وغيض ماء بحيرة ساوة، ورؤيا الموبذان[1] وغير ذلك، ومنها ما سمعوه من الهواتف الصارخة بنعوته وأوصافه والرموز المتضمنة لبيان شأنه ومنها انتكاس الأصنام المعبودة وخرورها لوجهها من غير دافع لها عن أمكنتها يرى أو يظهر إلى سائر ما روي ونقل من الأخبار المشهورة من ظهور العجائب في ولادته وأيام حضانته وبعدها إلى أن بعث نبيا وبعد ما بعث».

وذكر الإمام أبو بكر الخرائطي في «هواتف الجنان» عن هانئ المخزومي قال: لما كان ليلة ولد رسول الله ﷺ ارتجس إيوان كسرى، وسقطت منه أربع عشرة شُرفَة، وخمدت نار فارس، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، وغاضت بحيرة ساوه».

40- وغِيضَ ماؤُهُمُ فَازْدادَ غَيْظُهُمُ * فَيا خَسارَتَهُم ضَلُّوا وما اعْتَبَرُوا

(1) حيث رأى إبلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلاد فارس.

سبق ذكر ما حصل لمائهم، وغِيْض: أي قَلَّ ونَضَبَ، والغيظ: الغضب، والمعنى أن نقص مائهم كان سبب غضبهم، ولكنهم لم يعتبروا بتلك العلامات الدالة على صدق النبي الكريم ﷺ ، وبطلان ما هم عليه من الكفر.

41- وباتَتِ الشُّهْبُ تَرْمِي كُلَّ مُسْتَرِقٍ * لِلسَّمْعِ فَهْوَ بِذاكَ الرَّمْيِ يَنْدَحِرُ

الشُّهُب جمع شِهَاب، وهو شعلة نار ساطعة، وعن سعيد بن جُبير، قال: كانت الجنّ تستمع، فلما رجموا قالوا: إن هذا الذي حدث في السماء لشيء حدث في الأرض؛ قال: فذهبوا يطلبون حتى رأُوا النبيّ ﷺ خارجاً من سوق عكاظ يصلي بأصحابه الفجر، فذهبوا إلى قومهم مُنذرين. ومعنى استراق السمع: الاستماع بخفية من المتحدث كأن المستمع يسرق من المتكلم كلامه الذي يخفيه عنه، وورد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أن الشياطين كانوا لا يحجبون عن السموات، فلما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام منعوا من ثلاث سموات، فلما ولد محمد ﷺ منعوا من كلها بالشهب. وقوله: «فَهْوَ بِذاكَ الرَّمْيِ يَنْدَحِرُ» الدحر هو الطرد والإبعاد والدفع، أي: أن رمي الشياطين بالشهب نتج عنه طردها وإبعادها عن استراق السمع، وذلك أنهم يُرْمَون بالشهب فمنهم من تقتله ومنهم من تحرقه.

42- ويا هَنا ابْنَةِ سَعْدٍ فَهْيَ قَدْ سَعِدَتْ * سَعادَةً قَدْرُها بَيْنَ الْوَرَى خَطِرُ

43- إذ أَرْضَعَتْ خَيْرَ خَلْقِ اللهِ كُلِّهِمِ * هذا هُوَ الْفَوْزُ لا مُلْكٌ ولا وَزَرُ

الْهَنَاء هو الشيء الذي جاء بلا مشقة ولم يَتْبَعْه كَدَرٌ ولا تنغيص، والطعام الهنيء هو الطيب المساغ الذي لا ينغصه شيء، والمقصود هنا بيان ما فازت به حليمة السعدية حين اختصها الله تعالى أن تكون حاضنة ومرضعة للنبي ﷺ ، وما لحقها إثرَ ذلك من البركة في نفسها وأهلها ومالها.

وحليمة السعدية: هي بنت أبي ذؤيب، واسمه عبد اللّٰه بن الحارث بن شِجْنة ابن رِزام ابن ناضرة بن سعد بن بكر بن هوازن.

أخرج أبو داود، وأبو يعلى، وغيرهما، من طريق عمارة بن ثوبان عن أبي الطفيل أن النبيّ ﷺ كان بالجعرانة يقسم لحما، فأقبلت امرأة بدوية، فلما دنت من النبي ﷺ بسط لها رداءه، فجلست عليه، فقلت: من هذه؟ قالوا: هذه أمّه التي أرضعته.

قوله: «قَدْرُها بَيْنَ الْوَرَى خَطِرُ» الخطر أي: القدر والمنزلة، أي: مكانتها بين الناس رفيعة سامية لكونها أمَّ النبي ﷺ من الرضاع.

44- رَأَتْ لَهُ مُعْجِزاتٍ فِي الرّضاعِ بَدَتْ * وشاهَدَتْ بَرَكاتٍ لَيْسَ تَنْحَصِرُ

خرجت حليمة رضي الله عنها من بلدها مع زوجها، وابن لها صغير ترضعه متوجهة إلى مكة، ولم تكن وحدها رضي الله عنها، بل كُنَّ عشر نساء من بني سعد بن بكر، بغرض أن تحصل كل واحدة منهن على طفل ترضعه في مقابل مال تستفيد منه، وكان خروج حليمة رضي الله عنها في سنة شهباء؛ أي: شديدة القحط لم تُبْق لهم شيئاً، ومعها ناقة مسنة ليس فيها حليب، وذكرت أنها لم تنم بسبب بكاء صبيها من الجوع.

أقبلت المرضعات القادمات من البادية وكل واحدة تطمح أن تأخذ صبيا من أولاد الأشراف كي تحظى بمال وفير على ذلك، وكان النبي ﷺ يتيماً لا أب له يُرجى عطاؤه، ولم يكن عند أمه آمنة الأموال التي يطمع بسببها المراضع في أخذ رسول الله ﷺ، فزهدن فيه وتطلّعن إلى غيره.

ولم تجد حليمة طفلاً تعود به، واستحيت أن تعود صفر اليدين، فرجعت إلى آمنة لتأخذ منها محمدا ﷺ ، فامتنّ الله عليها بخير عظيم: درّت الضروع بعد جفاف، ولان العيش وأخصب، وشعرت حليمة وزوجها وولدها بأن أَوْبَتَهُم من مكة كانت باليمن والغُنْم، لا بالفقر واليتم، ممّا زاد تعلّقهم بالطفل وإعزازهم له.

تقول حليمة: فما هو إلا أن أخذته، فجئت به رحلي، فأقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى روي، وشرب أخوه حتى روي، وقام صاحبي إلى ناقتنا المسنة فإذا هي حافل بالحليب، فحلب ما شرب وشربت حتى روينا، فبتنا بخير ليلة، فقال صاحبي: يا حليمة، والله إني

لأراك قد أخذت نسمة مباركة، ألم تري إلى ما بتنا به الليلة من الخير حين أخذناه؟! فلم يزل الله يزيدنا خيراً، حتى خرجنا راجعين إلى بلادنا.

ثم لما رجعت حليمة إلى بني سعد وكانت أرضهم جدباء، وكانت غَنَمُ حليمة تسرح ثم تروح شباعاً مليئة باللبن، والناس من حولها تروح أغنامهم جياعاً لا لبن فيها.

قالت حليمة: وكان ﷺ يَشِبُّ في اليوم شباب الصبي في شهر، ويشب في الشهر شباب الصبي في سنة.

45- وحَدَّثَتْ قَوْمَهُ أَهْلُ الْكِتابِ بِما * يَكُونُ مِنْ شَأْنِهِ مُذْ شَخْصَهُ نَظَرُوا

المعنى: أن أهل الكتاب عندما شاهدوا النبي ﷺ عرفوا أنه رسول الله، وأخبروا قومه بذلك، قال تعالى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [البقرة: 146]، وقد حدث ذلك في مواضع، ومن ذلك ما أخبر به بحيرا الراهب عندما كان الحبيب محمد ﷺ مع معه أبي طالب في بصرى من أرض الشام، وكان أعلم أهل النصرانية، فلما رأى غماما تُظِلُ النبي ﷺ من بين القوم، فنزل من صومعته وأعد طعاما وقال: يا معشر قريش إني أحب أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم، وحركم وعبدكم، فقال له رجل منهم: يا بحيرا إن لك اليوم لشأناً ما كنت تصنع هذا فيما مضى، وقد كنا نمر بك كثيرا فما شأنك اليوم؟ فقال له بحيرا: صدقت قد كان ما تقول، ولكنكم ضيف، وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاما تأكلون منه كلكم صغيركم وكبيركم، فاجتمعوا إليه، وتخلف رسول الله من بين القوم لحداثة سنه في رحال القوم تحت الشجرة، فلما نظر بحيرا في القوم لم ير الصفة التي يعرف ويجد عنده، قال: يا معشر قريش لا يتخلف أحد منكم عن طعامي هذا، قالوا له: يا بحيرا ما تخلف عنك أحد ينبغي له أن يأتيك إلا غلام هو أحدث القوم سنا، تخلف في رحالهم، قال: فلا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم، فقال رجل مع القوم من قريش: واللات والعزى إن هذا للؤم بنا، يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن الطعام من بيننا! ثم قام إليه فاحتضنه، ثم أقبل به حتى أجلسه مع القوم، فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظاً شديداً، وينظر إلى أشياء من

جسده قد كان يجدها عنده في صفته، حتى إذا فرغ القوم من الطعام وتفرقوا قام بحيرا فقال له: يا غلام أسألك باللات والعزى إلا أخبرتني عما أسألك عنه، وإنما قال له بحيرا ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما، فزعموا أن رسول الله قال له: لا تسلني باللات والعزى شيئاً، فو الله ما أبغضت شيئاً قط بغضهما، فقال له بحيرا: فبالله إلا أخبرتني عما أسلك عنه، قال: سلني عما بدا لك، فجعل يسأله عن أشياء من حاله: من نومه، وهيئته، وأموره، فجعل رسول الله ﷺ يخبره فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده، فلما فرغ منه أقبل على عمه أبي طالب فقال له: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني، قال له بحيرا: ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً، قال: فإنه ابن أخي، قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمه حبلى به، قال: صدقت، ارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه اليهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت لَيَبْغُنَّهُ شَرًّا، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن فأسرع به إلى بلاده، فخرج به عمه أبو طالب سريعاً حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام.

وقد كانت الأحبار والرهبان أعلم برسول الله ﷺ لما يجدون في كتبهم من صفاته، وكان العرب أميين لا يدرسون كتاباً.

ومن عجيب ما جاء في ذلك ما رواه الأئمة أبو الوليد الأزرقي في أخبار مكة وأبو بكر الخرائطي في هواتف الجنان والبيهقي في دلائل النبوة وأبو نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة والماوردي في أعلام النبوة وغيرهم أنه لما ظهر سيف بن ذي يزن على الحبشة، وذلك بعد مولد النبي ﷺ بسنتين أتته وفود العرب وأشرافها وشعراؤها لتهنئه، وأتاه وفد قريش منهم: عبد المطلب بن هاشم، وأمية بن عبد شمس، وعبد الله بن جدعان، وأسد بن عبد العزى، ووهب بن عبد مناف، وقصي بن عبد الدار، فدخلوا إليه في قصره المسمى «غمدان» وكان الملك متضمخ بالعبير يلمع المسك في مفرق رأسه، وعليه بردان أخضران مرتديا بأحدهما متزرا بالآخر، سيفه بين يديه، وعن يمينه وشماله الملوك، فقال عبد المطلب: إن الله عز وجل أحلك أيها الملك محلا رفيعا شامخا باذخا منيعا وأنبتك نباتا طابت أَرُومَتُهُ، وعظمت جُرثُومَتُهُ، وثبت أصله وبَسَقَ فرعه، في

أطيب موضع وأكرم معدن، وأنت ملك العرب الذي له تنقاد، وعمودها الذي عليه العماد، ومعقلها الذي يلجأ إليه العباد، سلفك خير سلف، وأنت لنا منهم خير خلف، فلن يهلك ذكرُ من أنت خَلَفُه، ولن يخمل ذكر من أنت سَلَفُه. نحن أهل حرم الله تعالى، وسدنة بيت الله، أشخصنا إليك الذي أبهجنا من كشفك الكرب الذي فدحنا، فنحن وفد التهنئة لا وفد الْمَرْزَأَةِ.

قال له الملك: ومن أنت أيها المتكلم؟ قال: أنا عبد المطلب بن هاشم.

قال: ابن أختنا. [لأن أم عبد المطلب من الخزرج وهم من اليمن] قال: نعم. قال: أدنه، ثم أقبل عليه وعلى القوم، فقال: مرحبا وأهلاً، وناقة ورحلاً، ومستناخا سهلا، وملكا رِبَحْلاً: يعطي عطاء جزلاً، قد سمع الملك مقالتكم، وعرف قرابتكم، وقبل وسيلتكم، فإنكم أهل الليل والنهار، ولكم الكرامة ما أقمتم، والحباء إذا ظعنتم.

ثم أنزلهم دار الضيافة والوفود، وأجري عليهم الإكرام، فأقاموا بذلك شهراً ... ثم أرسل إلى عبد المطلب فأدناه، ثم قال: يا عبد المطلب إني مُفْضٍ إليك من سِرِّ علمي أمراً لو غيرك يكون لم أبح له به، ولكني رأيتك معدنه فأطلعتك عليه، فليكن عندك مخبيا حتى يأذن الله عز وجل فيه، إني أجد في الكتاب المكنون، والعلم المخزون، الذي ادخرناه لأنفسنا واحتجبناه دون غيرنا خبراً عظيما وخطراً جسيما. فيه شرف الحياة، وفضيلة الوفاة، للناس عامة، ولرهطك كافة، ولك خاصة.

فقال له عبد المطلب: أيها الملك فمثلك من سَرَّ وَبَرَّ، فما هو فداك أهل الوبر زُمَرَاً بعد زُمَر؟

قال: إذا ولد بتهامة، غلام بين كتفيه شامة. كانت له الإمامة، ولكم به الزعامة، إلى يوم القيامة.

قال عبد المطلب: أيها الملك، لقد أُبْتُ بخيرٍ ما آب بمثله وافدُ قَوْمٍ، ولولا هيبة الملك، وإجلاله وإعظامه لسألته من بشارته إياي ما أزداد به سرورا.

قال له الملك: هذا حينه الذي يولد فيه، أَوَقَدْ وُلِدَ، اسمه محمد: يموت أبوه وأمه، ويكفله جده وعمه، وقد وجدناه مرارا، والله باعثه جهارا، وجاعل له منا أنصارا، يعز بهم أولياءه، ويذل بهم أعداءه، ويضرب بهم الناس عن عرض، ويستفتح بهم كرائم أهل الأرض، يعبد الرحمن، ويدحض الشيطان، ويخمد النيران، ويكسر الأوثان، قوله فصل، وحكمه عدل، ويأمر بالمعروف ويفعله، وينهى عن المنكر ويبطله ... ثم قال: والبيت ذي الحُجُب، والعلامات على النُّقُب، إنك لجده يا عبد المطلب، غير ذي كذب.

قال: فخر عبد المطلب ساجدا له، فقال له ابن ذي يزن: ارفع رأسك ثَلِجَ صدرُكَ، وعلا كعبُك، فهل أحسست بشيء مما ذكرت لك؟

قال: نعم أيها الملك، إنه كان لي ابن، وكنت به معجبا، وعليه رفيقا، وإني زوجته كريمة، من كرائم قومي: آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، فجاءت بغلام فسميته محمداً، مات أبوه وأمه، وكفلته أنا وعمه.

قال له ابن ذي يزن: إن الذي قلت لك كما قلت، فاحفظه، واحذر عليه من اليهود، فإنهم له أعداء، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا واطو ما ذكرت لك دون هؤلاء الرهط الذين معك، فإني لست آمن أن تتداخَلَهُم النفاسةُ من أن تكون لكم الرئاسة؛ فينصبون له الحبائل؛ ويبغون له الغوائل، وإنهم فاعلون ذلك، أو أبناؤهم من غير شك، ولولا أني أعلم أن الموت مجتاحي قبل مبعثه لسرت بخيلي ورجلي حتى أُصَيِّرَ يثرب دار ملكي، فإني أجد في الكتاب الناطق، والعلم السابق أن بيثرب استحكام أمره، وأهل نصرته، وموضع قبره، ولولا أني أقيه الآفات، وأحذر عليه العاهات، لأعلنت على حداثةِ سنهِ أمْرَه، ولأوطأت على أسنان العرب كعبه، ولكن سأصرف ذلك إليك عن غير تقصير بمن معك.

ثم دعا بالقوم، فأمر لكل رجل منهم بعشرة أعبد سود، وعشر إماء سود، وحلتين من حلل البُرُوْد، وخمسة أرطال ذهب، وعشرة أرطال فضة، ومائة من الإبل، وكرش مملوءٍ عنبرا، وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك، وقال: إذا حال الحول فأتني بخبره، وما يكون من أمره.

قال: فمات سيف بن ذي يزن قبل أن يحول عليه الحول. قال: فكان كثيرا مما يقول عبد المطلب: يا معشر قريش، لا يغبطني رجل منكم بجزيل عطاء المَلِك وإنْ كَثُرَ، فإنه إلى نفاد، ولكن يغبطني بما يبقى لي ولعقبي ذكرُه وفخرُه.

فإذا قيل: وما هو؟ قال: سَيُعْلَمُ ما أقول ولو بعد حين».

قال الإمام الماوردي في كتابه «أعلام النبوة»: «فكانت هذه البشائر من رهبان النصارى وما تقدم من أخبار اليهود، وقد توارد عليها جميعهم مع اختلاف معتقدهم وتغاير كتبهم من أوائل الشهود على تعيين النبوّة فيه».

46- وفِي خَدِيجَةٍ الْكُبْرى وقِصَّتِها * عَجائِبٌ يا أُولِي الْأَبْصارِ فَاعْتَبِرُوا
47- اِخْتارَتِ الْمُصْطَفَى بَعْلاً وَقَدْ نَظَرَتْ * فِي مُعْجِزاتِ رَسُولِ اللهِ تَنْتَشِرُ
48- وآمَنَتْ وسَمَتْ مِنْ قَبْلِ لا أَحَدٌ * فِي الْكَوْنِ آمَنَ بُشْراها لَهَا الظَّفَرُ

خديجة: أم المؤمنين زوجة رسول الله ﷺ ، وهي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصيّ بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشية الأسدية، أول من صدقت ببعثة رسول الله ﷺ مطلقا، كانت تدعى قبل البعثة الطاهرة، وأمها فاطمة بنت زائدة، قرشية من بني عامر بن لؤيّ، وكانت خديجة متزوجة أولاً بأبي هالة بن زرارة بن النباش بن عدي التميمي، ثم تزوجت بعتيق بن عائذ بن عبد اللّٰه بن عمر بن مخزوم، ثم تزوجها رسول الله ﷺ قبل البعثة بخمس عشرة سنة، وكانت موسرة، وكان سبب رغبتها فيه ما حكاه لها غلامها ميسرة مما شاهده من علامات النبوة قبل البعثة، ومما سمعته من بحيرا الراهب في حقه لما سافر معه ميسرة في تجارة خديجة، وولدت من رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وسلّم أولاده كلهم إلا إبراهيم.

ومن مزايا خديجة أنها ما زالت تعظّم النبي ﷺ وتصدق حديثه قبل البعثة وبعدها، وقالت له لما أرادت أن يتوجّه في تجارتها: إنه دعاني إلى البعث إليك ما بلغني من صدق حديثك، وعِظَمِ أمانتك، وكرم أخلاقك.

وقالت له لَمَّا خطبها: إني قد رغبت فيك لحسن خلقك، وصدق حديثك.

كانت وفاة خديجة وأبي طالب في عام واحد، ودفنت بالحجون، ونزل النبي ﷺ في حفرتها، ولم تكن شرعت الصلاة على الجنائز.

كانت خديجة رضي الله عنها امرأة تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم منه، وكانت قريش قوماً تجاراً، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه، وعظيم أمانته، وكرم أخلاقه، بعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرج متاجراً بمالها إلى الشام، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار فقبل النبي ﷺ، وسافر وكان معه في السفر ميسرة وهو غلام لخديجة، فنزل رسول الله ﷺ قريبا من صومعة الراهب نسطورا، ولما شاهد الراهب رسول الله ﷺ سأل ميسرة عنه، فقال ميسرة: هذا رجل من قريش من أهل الحرم، وكان الراهب قد وجد في رسول الله ﷺ علامات النبوة، فقال لميسرة: إنه نبي آخر الزمان.

وصل النبي ﷺ إلى سوق بصرى فباع سلعته التي خرج بها، ثم عاد إلى مكة بتجارة خديجة وقد ربحت ضعف ما كانت تربح سابقاً، وأخبر ميسرة خديجة بما حصل مع النبي ﷺ من أمور عجيبة فرغبت في رسول الله ﷺ زوجاً.

وورد في فضل خديجة رضي الله عنها أحاديث:

منها ما رواه الشيخان البخاري ومسلم عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (خير نسائها مريم ابنة عمران، وخير نسائها خديجة). ومعناه معناه أن كل واحدة منهما خير نساء الأرض في عصرها.

وفي الصحيحين أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: (أتى جبريل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام، أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه، ولا نصب).

وفي الصحيحين أيضا من حديث أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله عنها قالت: ما غِرْتُ على أحد من نساء النبي ﷺ ما غِرْتُ على خديجة، وما رأيتها، ولكن كان النبي ﷺ يكثر

ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة، فيقول (إنها كانت، وكانت، وكان لي منها ولد).

وفي مسند أحمد بسند صحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها، فأحسن الثناء، قالت: فغرت يوما، فقلت: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدق، قد أبدلك الله عز وجل بها خيرا منها، قال: (ما أبدلني الله عز وجل خيرا منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء).

قوله: «اِخْتارَتِ الْمُصْطَفَى بَعْلاً» أي: زوجاً. قوله: «وَقَدْ نَظَرَتْ * فِي مُعْجِزاتِ رَسُولِ اللهِ تَنْتَشِرُ» أي: ما سبق من أمور عجيبة في أخلاقه وأمانته وصدقه وإخبار أهل الكتاب بنبوته. قوله: «وآمَنَتْ وسَمَتْ» من السمو والرفعة، وقد حازت بالسبق إلى الإيمان والصلاح أعظم منزلة. قوله: «مِنْ قَبْلِ لا أَحَدٌ * فِي الْكَوْنِ آمَنَ» أي: أنها أول من آمن بالنبي ﷺ على الإطلاق. قوله: «بُشْراها لَها الظَّفَرُ» بالمقام الرفيع في جنة الله تعالى.

49- وعِنْدَما جاءَ جِبْرِيلُ وقالَ لَهُ * اِقْرَأْ وأُنْزِلَتِ الْآياتُ والسُّوَرُ

50- دَعَا لِدِينِ إِلَهِ الْعَرشِ فَابْتَدَرَتْ * لَمَّا دَعَا زُمَرٌ مِنْ بَعْدِها زُمَرُ

يشير الناظم إلى ابتدأ الوحي، وقد ثبت في الصحيحين من حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه – وهو التعبد – الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: «ما أنا بقارئ»، قال: " فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني، فقال: {اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق.

اقرأ وربك الأكرم} [العلق: 2] فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، فقال: «زملوني زملوني» فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: «لقد خشيت على نفسي» فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعا، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أو مخرجي هم»، قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا. ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي».

ودعا النبي ﷺ ثلاث سنوات سراً، ثم في السّنة الرّابعة من مبعثه نزل قوله تعالى: {فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْناكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ} [سورة الحجر 94- 95] .

فامتثل ﷺ أمر ربّه، وأظهر الدّعوة إلى الله تعالى، فدخل النّاس في الإسلام أَرْسَالاً، حتّى فشا ذكر الإسلام بمكّة، ولكن كان المسلمون إذا أرادوا الصّلاة ذهبوا إلى الشّعاب، واستخفوا من قومهم بصلاتهم.

قوله: «فَابْتَدَرَتْ * لَمَّا دَعَا زُمَرٌ مِنْ بَعْدِها زُمَرُ» أي: تسابق الناس إلى هذا الدين السمح، الذي حفظ الحقوق، وأرسى مكارم الأخلاق، وقيم العدل والمساواة. «والزُّمْرَة» الجماعة، و «الزُّمَر» الجماعات، والمعنى جماعات من بعد جماعات.

51- وقامَ يُنْذِرُ قَوْماً خالَفُوا سَفَهاً * وَكَذَّبُوا حَسَداً والْحَقَّ هُمْ بَطَرُوا

المعنى: أنه قام بما أوجب الله عليه من البيان والبلاغ للناس كافة؛ كما قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا} [سبأ: 28]، فاستجاب له من أراد الله به خيراً، وأعرض عن دعوته أقوامٌ إما بسبب سفه عقولهم، أو حقدهم وكبرهم، قال تعالى مبيناً حال السفهاء: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ} [البقرة: 13]، ووصَفَهُم الله بالسفاهة لأنهم تركوا سبب الفوز العظيم بالنعيم المقيم، وارتكبوا ما استوجبوا به الخلود في الدرك الأسفل من الجحيم.

وأما الفريق الحاسد الحاقد فقد قال الله عنهم: {وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ} [البقرة: 109]، وقال: {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} [النساء: 54] والمراد بالناس في الآية رسول الله ﷺ في قول جماعة من المفسرين. وقال تعالى: {فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} [الأنعام: 33]. قوله: «والْحَقَّ هُمْ بَطَرُوا» أي: بطروا الحق، والبطر: دفع الحق وإنكاره ترفعا وتجبرا.

52- فَبَرَّأَ اللهُ مِمَّا قَدْ رَمَوهُ بِهِ * وزَوَّرُوهُ فَأَقْوالُ الْعِدا هَذَرُ

كان الكفار والمشركون يقولون إنه ساحر وشاعر وكاهن ومجنون، فبرأه الله ونزهه مما قالوا تشريفاً له وتعظيماً، فقال تعالى: {مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ} [القلم: 2]، وقال: {وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ} [يس: 69]، وقال: {مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى} [النجم: 2]، وبرأه الله من كل ما رموه به من السحر، والكهانة والجنون، فقال: {أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ} [محمد: 14]، وزكى الله قلبه فقال: {مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى} [النجم: 11]، وزكى بصره فقال: {مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى} [النجم: 17].

قوله: «وزَوَّرُوهُ» الزُّوْر: الميل عن الحق والعدول إلى الباطل، والمقصود أنهم قد مالوا عن الحقيقة وابتعدوا عنها عندما وصفوا النبي ﷺ بتلك الأوصاف الشنيعة الباطلة. قوله: «فَأَقْوالُ الْعِدا هَذَرُ» أي: أقوال الأعداء هذيان لا قيمة له، يقال: هَذِرَ كلامه؛ أي: كثر كلامه في الباطل

والزيغ، قال العلامة مرتضى الزبيدي في تاج العروس: «هذر كلامه، كفرح، هذرا: كثر في الخطأ والباطل. والهذر، محركة: الكثير الرديء، أو هو سقط الكلام، أو الكلام الذي لا يعبأ به».

53- وِقايَةُ اللهِ أَغْنَتْ عَنْ مُضاعَفَةٍ * مِنْ الدُّرُوعِ فَما الْأَرْماحُ والْبُتُرُ

«وِقايَةُ اللهِ» أي: حفظه وحمايته. «أَغْنَتْ» كَفَت وأجزأت. «عَنْ مُضاعَفَةٍ * مِنْ الدُّرُوعِ» أي حفظ الله يغني عن لبس درع فوق درع، وهي التي تنسج حلقتين حلقتين. قوله: «فَما الْأَرْماحُ والْبُتُرُ» أي: إذا كانت عناية الله محيطة بك فلا تصل إليك الرماح ولا السيوف. والأرماح جمع رمح، والبُتُر جمع بُتْر، وهو السيف إذا كان حاداً قاطعاً، وهذا كقول البوصيري في بردته:

وقاية الله أغنت عن مضاعفة ... من الدّروع وعن عال من الأُطُمِ

صَلُّوا عَلَى الْمُصْطَفَى الْهَادِي بِدَعْوَتِهِ * إِلَى طَرِيقِ الْهُدَى يا مَنْ هُنا حَضَرُوا

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِمْ وبارِكْ عَلَيْه

كرامة الإسراء والمعراج

54- تَتابَعَتْ لَيْلَةَ الْإِسْرَا لَهُ مِنَحٌ * عَنْ وَصْفِها فُصُحاءُ الْعُرْبِ قَدْ حُصِرُوا

«تَتابَعَتْ» أي: توالت المنح والنعم من الله تعالى على عبده ورسوله محمدٍ ﷺ ، وذلك بتخصيصه بالإسراء والمعراج، وتعميمه بلطائف التكريم في حضرة التقريب بالمكالمة والمشاهدة والآيات الكبرى، فهذه الحادثة من أشهر المعجزات، وأظهر البراهين البينات، وأقوى الحجج المحكمات، وأصدق الأنباء، وأعظم الآيات، وما حصل للنبي ﷺ من الأسرار والغرائب مِنْ العروج به إلى سدرة المنتهى، ثمّ إلى قاب قوسين أو أدنى، وما رأى من آيات ربّه الكبرى، والمناجاة، والرّؤية، وإمامة الأنبياء، إلى غير ذلك ممّا أكرم الله تعالى به حبيبه ﷺ . قوله: «عَنْ وَصْفِها فُصُحاءُ الْعُرْبِ قَدْ حُصِرُوا» الحَصَر: العِيْ، والعجز عن الكلام، كأن الكلام حُبِسَ ومُنِعَ.

وكانت حادثة الإسراء قبل الهجرة بسنة، أي: في السّنة الثّانية عشرة من البعثة.

روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: (أُتيت بالبراق، وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار، ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طَرْفِهِ)، قال: «فركبته حتى أتيت بيت المقدس»، قال: «فربطته بالحلقة التي يَرْبِطُ به الأنبياء»، قال: ثم دخلت المسجد، فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر، وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال جبريل صلى الله عليه وسلم: اخترت الفطرة، ثم عرج بنا إلى السماء، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بآدم، فرحب بي، ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل عليه السلام، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم، ويحيى بن زكرياء، صلوات الله عليهما، فرحبا ودعوا لي بخير، ثم عرج بي إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد صلى الله عليه وسلم، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف صلى الله عليه وسلم، إذا هو قد اعطي شطر الحسن، فرحب ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة، فاستفتح جبريل عليه السلام، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قال: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بإدريس، فرحب ودعا لي بخير، قال الله عز وجل: {ورفعناه مكانا عليا} [مريم: 57]، ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة، فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ فقال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بهارون صلى الله عليه وسلم، فرحب، ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة، فاستفتح جبريل عليه السلام، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بموسى صلى الله عليه وسلم، فرحب ودعا لي

بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد صلى الله عليه وسلم، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم صلى الله عليه وسلم مسندا ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، ثم ذهب بي إلى السدرة المنتهى، وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال "، قال: " فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى الله إلي ما أوحى، ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزلت إلى موسى صلى الله عليه وسلم، فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم "، قال: " فرجعت إلى ربي، فقلت: يا رب، خفف على أمتي، فحط عني خمسا، فرجعت إلى موسى، فقلت: حط عني خمسا، قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف "، قال: " فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى، وبين موسى عليه السلام حتى قال: يا محمد، إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة، لكل صلاة عشر، فذلك خمسون صلاة، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرا، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا، فإن عملها كتبت سيئة واحدة "، قال: " فنزلت حتى انتهيت إلى موسى صلى الله عليه وسلم، فأخبرته، فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف "، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه».

وفي مسند البزار من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه وفيه أن النبي ﷺ قال: (ثم مررنا بعير لقريش بمكان كذا وكذا قد أضلوا بعيراً لهم، فسلمت عليهم، فقال بعضهم هذا صوت محمد، ثم أتيت أصحابي قبل الصبح بمكة، فأتاني أبو بكر فقال: يا رسول الله، أين كنت الليلة؟، فقد التمستك في مكانك، فقال: إني أتيت بيت المقدس الليلة، فقال: يا رسول الله، إنه مسيرة شهر فصفه لي، ففتح لي شراك كأني أنظر إليه، لا

يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم عنه، فقال: أبو بكر أشهد أنك رسول الله، فقال المشركون: انظروا إلى أبي كبشة يزعم أنه أتى بيت المقدس الليلة، قال: نعم وقد مررت بعير لكم بموضع كذا وكذا، قد أضلوا بعيرا لهم بمكان كذا وكذا، وأنا مسيرهم لكم ينزلون بكذا وكذا، ثم يأتونكم يوم كذا وكذا يقدمهم جمل أدم، عليه مسح أسود وغرارتان سوداوان، فلما كان ذلك اليوم أشرف الناس ينظرون، حتى كان قريبا من نصف النهار حتى أقبلت العير، يقدمهم ذلك الجمل كالذي وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم).

55- فَيا لَها لَيْلَةً جِبْرِيلُ خادِمُهُ * فِيها لَقَدْ طابَ لِلْهادِي بِها السَّمَرُ

فقد كان جبريل عليه السلام دليله فيها، وقوله: «لَقَدْ طابَ لِلْهادِي بِها السَّمَرُ» كيف لا ؟! وقد تَنَعَّمَ في هذه الليلة بكلام الله، ثم بلقاء إخوانه من الرسل عليهم الصلاة والسلام.

56- وفِي صَبِيحَتِها كانَتْ لِصاحِبِهِ * فِي الْمَكْرُماتِ يَدٌ تَزْهُو بِها السِّيَرُ

أي: وفي صباح ليلة الإسراء كان لسيدنا أبي بكر الصديق كرامات جليلة، ومواقف مُشَرِّفة، وذلك أن النبي الكريم ﷺ لما أصبح وأخبر قريشاً بما حصل له، كَذَّبَهُ كثير من الناس، وارتدت طائفة بعد إسلامها، ولما وصل الخبر إلى أبي بكر قال: إني لأصدقه في خبر السماء بكرة وعيشة، أفلا أصدقه في بيت المقدس! فسمي الصديق.

57- وَلْيَهْنِهِ إِذْ هُما فِي الْغارِ مَنْقَبَةٌ * شَرِيفَةٌ ما حَوَاها قَبْلَهُ بَشَرُ

أي هنيئاً لأبي بكر رضي الله عنه بصحبة رسول الله في الغار والهجرة، وهي منقبة عظيمة، وشرف بالغ، يستحقه هذا السيد الهمام الذي كان له في الصدق والسبق والإخلاص قصب السبق، وهذا الشرف الذي حظي به الصديق مما لم يشاركه فيه أحدٌ غيره، وقد خلد الله هذه الذكرى في وحيٍ يُتلى، قال تعالى: {إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا} [التوبة: 40].

وذلك أنَّ قريشاً لما رأت المسلمين قد هاجروا إلى المدينة علموا أن المسلمين سَيُعِدُّون أنفسهم للعودة إلى مكة وهم قوة لا تطاق، فأجمع صناديد الكفر أمرهم على قتل رسول الله ﷺ، ووضعوا أمام باب منزله شباباً بسيوفهم ليقتلوه عند خروجه، فأمر النبي ﷺ علي بن أبي طالب أن ينام على فراشه، فدعا النبي ﷺ ربه وخرج، فطمس الله على أبصارهم فخرج وقد غشيهم النوم، فوضع على رؤوسهم ترابا ونهض فلما أصبحوا خرج عليهم علي رضي الله عنه وأخبرهم أن ليس في الدار أحد فعلموا أن رسول الله ﷺ قد فات ونجا. وتواعد رسول الله ﷺ مع أبي بكر الصديق للهجرة، فدفعا راحلتيهما إلى عبد الله بن أرقط ويقال أريقط، وكان كافرا لكنهما وثقا به، وكان دليلا بالطرق فاستأجراه ليدلهما إلى المدينة. وخرج رسول الله ﷺ من خوخة في ظهر دار أبي بكر التي في بني جمح ونهضا نحو الغار في جبل ثور، وأمر أبو بكر ابنه عبد الله أن يستمع ما يقول الناس، وكانت أسماء بنت أبي بكر الصديق تأتيهما بالطعام ويأتيهما عبد الله بن أبي بكر بالأخبار، ثم يتلوهما عامر بن فهيرة بالغنم فيخفي آثارهما، واستمر الباحثون بالبحث حتى وصلوا إلى الغار، فنظروا فإذا بالعنكبوت قد نسج على فم الغار، فأيقنوا أن لا أحد فيه فرجعوا.

58- وهاجَرا مِنْهُ لَمَّا حاوَلا سَفَراً * لِطَيْبَةٍ وتَناهى عِنْدَها السَّفَرُ

أي: وهاجر النبي ﷺ والصديق رضي الله عنه مع دليلهم من الغار متوجهين إلى المدينة التي كانت منتهى سفرهم.

59- فَسَلْ سُراقَةَ عَنْهُ إنْ تُرِدْ خَبَراً * وأُمَّ مَعْبَدَ يَحْلُو مِنْهُما الْخَبَرُ

جُنَّ جنون قريش لما لم يجدوا النبي ، وأعلنوا عن جائزة ثمينة (مائة ناقة) لمن يأتي بالنبي حيا أو ميتاً، فدخل سراقة بيته وأخذ سلاحه، وركب فرسه، وانطلق، وحين كان فرسه يجري مسرعاً عثر حتى سقط سراقة، ثم ركب خيله مرة ثانية وإذا بالخيل تغوص يداه في الأرض فسقط سراقة.

قال سراقة: فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد مُنِعَ مني، وأنه ظاهر. قال: فناديت القوم: فقلت: أنا سراقة بن جعشم: انظروني أكلمكم، فو الله لا أريبكم، ولا يأتيكم مني شيء تكرهونه. قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر: قل له: وما تبتغي منا؟ قال: فقال ذلك أبو بكر، قال: قلت: تكتب لي كتابا يكون آية بيني وبينك. قال: اكتب له يا أبا بكر.

قال: فكتب لي كتابا ثم ألقاه إلي، فأخذته، فجعلته في كنانتي، ثم رجعت.

ثم في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما فتح المسلمون فارس أُحضِر إليه فروة كسرى وسيفه ومِنْطَقَتُه وتاجه وسواريه، فدفعها سيدنا عمر إلى سراقة بن مالك بن جعشم، وقال: قل الحمد لله الذي ألبس ثياب كسرى لرجل أعرابي من البادية، قال الشافعي: إنما ألبسه ذلك لأن النبي ﷺ قال لسراقة كأني بك وقد لبست سواري كسرى.

وأما أم معبد فهي بنت كعب الخزاعية، وقد نزل النبي ﷺ وأبو بكر في طريق هجرتهم بخيمتها، وكانت امرأة تبرز أمام الرجال، تحتبي بفناء القبة ثم تسقي وتطعم فسألوها لحما وتمرا ليشتروا منها فلم يجدوا عندها شيئا من ذلك، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شاة في زاوية الخيمة فقال: ما هذه الشاة يا أم معبد؟ قالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم قال: بها من لبن؟ قالت: هي أجهد من ذلك، قال أفتأذنين لي أن أحلبها؟ قالت: بأبي أنت وأمي نعم إن رأيت بها حلبا فاحلبها، فدعا بها رسول الله ﷺ فمسح ضرعها بيده وسمى الله عز وجل ودعا لها في شاتها فدرت واجترت فدعا بإناء فحلب فيه، ثم سقاها حتى رويت وسقى أصحابه حتى رووا ثم شرب آخرهم ﷺ ثم حلب ثانيا فملأ الإناء ثم غادره عندها، ثم جاء زوجها بالغنم وهنَّ عجاف ليس فيهن لبن، فلما رأى أبو معبد اللبن عجب وقال: من أين لك هذا والشاة عازب حائل ولا حلوبة في البيت؟ قالت: لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا فقال: صفيه لي يا أم معبد قالت: «رأيت رجلا ظاهر الوضاءة أبلج الوجه حسن الخلق لم تعبه ثجلة [أي: ليس عظيم البطن]، ولم تزر به صعلة [أي: لم يكن صغير الرأس ولا نحيل الجسد]، وسيم قسيم، في عينيه دعج [أي: سواد]، وفى أشفاره وطف [كثرة شعر الحاجبين والعينين]، وفى صوته صحل [كالبحة]، أحور [أي: شديد بياض بياض العين، وسواد سوادها] أكحل، أزج [أي: في

طرف حاجبه دقة]، أقرن [أي: طرف الحاجبين كأنهما متصلان]، شديد سواد الشعر، في عنقه سطع [أي: ارتفاع وطول]، وفي لحيته كثاثة [أي: ليست دقيقة ولا طويلة]، إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سماه وعلاه البهاء، أجمل الناس وأبهاهم من بعيد، وأحلاه وأحسنه من قريب، حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر، كأن منطقه خرزات نظم تحدرن، ربعة لا بائن من طول ولا تقتحمه عين من قصر، غصن بين غصنين، هو أنظر الثلاثة منظراً، وأحسنهم قدراً، له رفقاء يحفون به، إن قال أنصتوا لقوله وإن أمر تبادروا إلى أمره، محفود [أي: مخدوم]، محشود لا عابس ولا مفند [أي: لا يُكثر اللوم] قال أبو معبد: هو والله صاحب قريش الذي ذُكِرَ لنا من أمره ما ذُكر بمكة. قيل إن أم معبد هاجرت وأسلمت ولحقت برسول الله .

60- طابَتْ بِهِ طَيْبَةٌ لَمَّا أَقامَ بِها * وفاحَ حِينَ أَتاها نَشْرُها الْعَطِرُ

طيبة: اسم من أسماء المدينة المنوّرة، سميت بذلك لكمال المناسبة بين الاسم والمسمّى، وقد أخبر عليه الصّلاة والسّلام بأنّه ينصع طيبها وتنفي خبثها، ففي الصحيحين من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها».

وفي صحيح البخاري من حديث سفيان بن أبي زهير رضي الله عنه، أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تفتح اليمن، فيأتي قوم يبسون، فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، وتفتح الشأم، فيأتي قوم يبسون، فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، وتفتح العراق، فيأتي قوم يبسون، فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون» ومعنى يبسون: يتحملون بأهليهم، ويزينون لهم الخروج من المدينة إلى غيرها.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «يأتي على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه: هلم إلى الرخاء، هلم إلى الرخاء، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، والذي نفسي بيده، لا يخرج منهم أحد رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيرا منه،

ألا إن المدينة كالكير، تخرج الخبيث، لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها، كما ينفي الكير خبث الحديد».

قال بعض العلماء: وطابة مشتقة من الطيب، واشتق لها عليه السلام هذا الاسم من الطيب، وكره اسم يثرب، لما فيه من التثريب، وأمر المدينة عجيب في ترابها، فهي دليل شاهد وبرهان على قوله: «إنها طيبة، تنفي خبثها وينصع طيبها»، لأن من دخلها وأقام بها يجد من تربتها وحيطانها رائحة طيبة، وبذلك السبب طاب طيبها، والمعجونات من الطيب والعود والبخور فيها أطيب رائحة من المعجون في غيرها.

وصدق من قال:

بطيبةَ عَرّج إنَّ بينَ قِبَابِها ... حبيباً لأدواءِ القلوب طبيب

إذا لم تطب في طيبة عند طيب ... به طيبة طابت فأين تطيب؟

فشرَّفَ الله المدينة حين ساق إليها أحب خلقه وأكرمهم ﷺ، قوله: «وفاحَ حِينَ أَتاها نَشْرُها الْعَطِرُ» وقد انتشر وفاح الخير والنور والبركة من المدينة على الأرض كلها، وكانت هي المنطلق للوحي الشريف، وينبوع العطاء، ومنها انساب جموع الصحابة الكرام فاتحين.

61- وأَشْرَقَتْ أَرْضُها مِنْ نُورِهِ وزَهَتْ * وأَيْنَعَتْ وبَدا فِي رَوْضِها زَهَرُ

جاء في مسند أحمد وسنن الترمذي وابن ماجه، وصحيح ابن حبان من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء، وما نفضنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الأيدي وإنا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا».

«أشرقت» أي: أضاءت من نوره ﷺ ، «وزهت» أي: حسن منظرها وتجملت. «وأينعت» اليانع هو الثمر الناضج، ولعل المقصود هنا هو أن المدينة وصلت إلى درجة الكمال والبهاء والحسن والخير بمقدم رسول الله ﷺ .

62- لِمْ لا وقَدْ شَرَّفَ الْمُخْتارُ تُرْبَتَها * وَاللهِ حَقٌّ لَهَا تَعْلُو وَتَفْتَخِرُ

63- اِخْتارَها وطَناً ما زالَ يَسْكُنُهُ * حَتَى دُعِي بِجِنانٍ حَفَّها النَّهَرُ

أي: كيف لا يكون منها هذه الإضاءة والجمال والزهاء وقد شرفها المختار ﷺ بسكناها والمشي على ترابها، بل حَقٌّ لها أن تعلو وتفتخر على سائر الأمصار والبلدان باتخاذ المصطفى لها وطناً له، وحُضْنَاً للإسلام، ومُنْطَلَقاً لدعوته، وعاصمة لدولته، واستمر بها حتى بعد فتح بلده الأصلي «مكة» وإلى أن دعاه الله إلى جواره، ومفارقة دار البلاء والفناء إلى دار الخلد والكرامة والبقاء، فكانت المدينة وطنه ومثواه. قوله: «حَفَّها النَّهَرُ» حَفَّ الشيء بالشيء إذا أحدق به من كل اتجاه.

64- وَكانَ مَوْلِدُهُ أَيْضاً ونُقْلَتُهُ * لِيَوْمِ الاثْنَين هَذا الْأَمْرُ مُعْتَبَرُ

أي: كان مولده وانتقاله إلى المدينة في يوم الاثنين، قوله: «هَذا الْأَمْرُ مُعْتَبَرُ» أي: وهذا القول هو المعتبر؛ أي: المعتمد.

وقد اتفق العلماء على أن مولده ﷺ كان في يوم الاثنين من شهر ربيع الأول عام الفيل، وإنما وقع الخلاف في تحديد تاريخ ذلك من شهر ربيع الأول على أقوالٍ، فقيل ولد لليلتين خلتا من ربيع الأول، وقيل لثمان خلون منه، وقيل إنه أول اثنين من ربيع الأول، وأكثر أهل السير على أنه ولد يوم الثاني عشر من ربيع الأول عام الفيل، بعد الحادثة بخمسين يوما.

وكان وصول الرسول ﷺ المدينة يوم الاثنين، حين كادت الشمس تعتدل، لثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول، ورسول الله ﷺ يومئذ ابن ثلاث وخمسين سنة، وذلك بعد أن بعثه الله عز وجل بثلاث عشرة سنة.

وكان خروجه من مكة في آخر شهر صفر ليلة الخميس، وأما خروجه من غار ثور فكان ليلة الاثنين لأنه أقام في الغار ثلاث ليال ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الأحد، وخرج في أثناء ليلة الاثنين، في أول يوم من شهر ربيع الأول، ودخل إلى مشارف المدينة «قباء» يوم الاثنين، ووصل إلى المدينة يوم الجمعة.

صَلُّوا عَلَى الْمُصْطَفَى الْهادِي بِدَعْوَتِهِ * إِلَى طَرِيقِ الْهُدَى يا مَنْ هُنا حَضَرُوا
اللّهمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَيْه

أوصاف الحبيب المحبوب ﷺ

65- فَانْظُرْ لِأَوْصَافِ خَيْرِ الْخَلْقِ فِي مِدَحِي *كَأَنَّهَا الْوَشْيُ إِذْ تَزْهُو بِهِ الْحِبَرُ

أي: فانظر لأوصاف النبي الكريم ﷺ الخَلْقِيَّة والخُلُقِيَّة في مدحي كأنها الوَشْي؛ أي: كأنها النقش الجميل الذي تزهوا أي: تتزين به الْحِبَرُ؛ والحِبَر جمع حِبْرَة وهي البُرْد اليماني، من التَّحْبِيْر وهو التحسين، والْبُرْدَةُ كساء يُلتَحَفُ به، والمِدَح جمع مِدْحَة.

66- بَرٌّ رَؤُفٌ رَحِيمٌ زانَهُ خُلُقٌ * مِثْلَ النَّسِيمِ فَلا فَظٌّ ولا ضَجِرُ

«بَرٌّ»: فاعل من البِرِّ وهو الإحسان والطاعة والصدق، وهو من أسماء الله تعالى، ومعناه البالغ في الإحسان، والصادق فيما وعد.

«رَؤُفٌ»: الرأفة شدة الرحمة. و«الرحمة» الرقة والعطف. قال بعض العلماء: الرأفة لدفع المكاره والشدائد، والرحمة لطلب المحابّ. والرسول ﷺ هو أرحم الخلق وأعطفهم وأشفقهم وأرقّهم قلباً، وقد وصفه الله تعالى في القرآن بذلك فقال: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ } [التوبة: 128].

قوله: «زانه خُلُقٌ» أي تزين وتجمل بالأخلاق الكريمة، ثم شبه هذه الأخلاق بالنسيم وهو: الريح الطيبة. قوله: «فَلا فَظٌّ ولا ضَجِرُ» أي: لا تجد منه ﷺ فظاظة ولا تَضَجُّرَاً، والفَظَاظة: سوء الخلق. والتَّضَجُّر: هو التأفف وإظهار التبرم والتَّسَخُّط والاغتمام.

وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: إن الله تعالى وَصْفَ رسوله ﷺ في التوراة فقال: «أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله

حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح بها أعينا عميا، وآذانا صما، وقلوبا غلفا».

ومما يدل على بُعْدِه ﷺ من التضجر ما رواه مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين، والله ما قال لي: أُفاً قط، ولا قال لي لشيء: لم فعلت كذا؟ وهلا فعلت كذا؟». وهذا غاية البعد عن التضجر.

67- يُلْقَى أَشَدَّ حَياءً مِنْ مُخَدَّرَةٍ * عَذْراءَ فِي خِدْرِها قَدْ زانَها الْخَفَرُ

أي: يَلْقَى الناسُ النبيَّ ﷺ وحاله أنه أشد حياء من العذراء في خدرها كما في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها».

والمقصود أن النبي ﷺ كان أشد حياء من العذراء (أي: البنت البكر) في خدرها (أي: في مكان سترها، فإن العذراء إذا كانت في خدرها كانت أشد حياء مما إذا كانت خارجة عنه. وقوله: «يُلْقَى أَشَدَّ» بالقاف، وربما كانت بالفاء «يُلْفَى» أي: يوجد، أي: كلما وجده إنسان شاهد منه الحياء.

68- فاقَ النَّبِيِّينَ أَخْلاقاً ومُعْجِزَةً * ورُتْبَةً فَلَهُ التَّقْدِيمُ إِنْ حَضَرُوا

فاق الرجل أصحابه يفوقهم فوقاً وفواقاً: أي علاهم بالشرف والمنزلة، والخُلُق: السجية، والمقصود أنه تفَوَّق على النبيين في سجاياه وطباعه الكريمة وشمائله الْمُنِيْفَة، كما تفوق عليهم في معجزاته، إذْ ما مِنْ معجزة لنبي من الأنبياء عليهم السلام إلا ولنبينا ﷺ مثلها أو ما هو من جنسها، وفاق النبيين أيضاً في الرتبة والمنزلة، فهو سيد ولد آدم كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ).

وكما قال الإمام البوصيري:

فاق النبيين في خلقٍ وفي خُلُقٍ ... ولم يدانوه في علمٍ ولا كرم

وقال:

وكل آي أتى الرسلُ الكرامُ بها ... فإنَّمَا اتصلت من نوره بهِمِ

فإنه شمسُ فضلٍ هم كواكبها ... يُظهرنَ أنوارها للناس في الظلم

قوله: «فَلَهُ التَّقْدِيمُ إِنْ حَضَرُوا» أي: هو المقدم عليهم حين صلى بهم إماماً ليلة الإسراء، وهو المقدم للشفاعة العظمى حين يقول أولو العزم من الرسل نفسي نفسي كما في حديث الشفاعة الطويل الثابت في الصحيحين.

69- مُكَمَّلُ الخَلْقِ لا خَلْقٌ يُشابِهُهُ * لَهُ اعْتِدالٌ فَلا طُولٌ ولا قِصَرٌ

هذا البيت نظم لما تضمنه حديث الصحيحين عن البراء رضي الله عنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا وَأَحْسَنَهُ خَلْقًا، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ البَائِنِ، وَلاَ بِالقَصِيرِ». فمن نظر إلى خصال الكمال وجد نبيّنا ﷺ حائزاً لجميعها، محيطا بشتاتها، فقد كان كأنّ الشّمس تجري في وجهه، إذا ضحك تلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، أجمل النّاس من بعيد، وأحلاهم وأحسنهم من قريب. قوله: «لَهُ اعْتِدالٌ فَلا طُولٌ ولا قِصَرٌ» وهذا غاية الحسن، وفي صحيح البخاري وجامع الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كَانَ رَبْعَةً مِنَ القَوْمِ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلاَ بِالقَصِيرِ، أَزْهَرَ اللَّوْنِ لَيْسَ بِأَبْيَضَ، أَمْهَقَ وَلاَ آدَمَ، لَيْسَ بِجَعْدٍ قَطَطٍ، وَلاَ سَبْطٍ رَجِلٍ أُنْزِلَ عَلَيْهِ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ، فَلَبِثَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ يُنْزَلُ عَلَيْهِ، وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ، وَقُبِضَ وَلَيْسَ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ عِشْرُونَ شَعَرَةً بَيْضَاءَ».

والمعنى أنه ليس شديد الطول ولا قصيراً، ولكنه إلى الطول أقرب، وكان مع ذلك لا يماشيه أحد من الناس ينسب إلى الطول إلا كان النبي ﷺ أطول منه.

ويُنسب إلى شاعر رسول الله ﷺ حسان بن ثابت أنه قال:

وأحسنُ مَنْكَ لَمْ تَرَ قَطُّ عيني ... ومِثْلُكَ قَطُّ لم تَلِدِ النساء

خُلِقْتَ مُبَرَّأً مِنْ كُلِّ عَيْبٍ ... كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ كما تشاء

وقيل:

ولو صَوَّرْتَ نَفْسَكَ لم تَزِدْهَا ... على ما فيك من كَرَمِ الطِّبَاعِ

وقال البوصيري:

فَهْوَ الذي تَمَّ مَعْنَاهُ وصُوْرَته ... ثم اصطفاه حبيباً بارئُ النسم

منزهٌ عن شريكٍ في محاسنه ... فجوهر الحسن فيه غير منقسم

70- مُشَرَّبٌ لَوْنُهُ الْمُبْيَضُّ مَنْظِرُهُ * بِحُمْرَةٍ ومُحَيّاهُ هُوَ الْقَمَرُ

المشْرَبُ: هو الَّذِي فِي بَيَاضِهِ حُمْرَةٌ. و «مُحَيَّاه»: أي: وجهه. جاء في الصحيحين من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ».

وجاء في جامع الترمذي عن علي رضي الله عنه أنه قال في وصف رسول الله ﷺ: «لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْمُمَّغِطِ وَلَا بِالقَصِيرِ المتَرَدِّدِ وَكَانَ رَبْعَةً مِنَ القَوْمِ، وَلَمْ يَكُنْ بِالجَعْدِ القَطَطِ وَلَا بِالسَّبِطِ كَانَ جَعْدًا رَجِلًا وَلَمْ يَكُنْ بِالمطَهَّمِ، وَلَا بِالمكَلْثَمِ، وَكَانَ فِي الوَجْهِ تَدْوِيرٌ، أَبْيَضُ مُشْرَبٌ ...».

71- صَلْتُ الجَبِينِ أَزَجُّ الْحاجِبَيْنِ كَحِيـ * ـلُ الْعَيْنِ مِنْ حُسْنِهِ لا يَشْبَعُ النَّظَرُ

«صَلْتُ الجَبِينِ» أي: واسع الجبين واضحه. والجبين: هو ما فوق الصُّدْغِ، وهما جبينان عن يمين الجبهة وشمالها، والصدغ: هو ما بين خط العين إلى أصل الأذن.

«أَزَجُّ الْحاجِبَيْنِ» الحاجب: هو العظم الذي فوق العين، وفي الإنسان حاجبان، والمقصود هنا هو الشعر الذي على الحاجب، أي: في طرف حاجبه دقة. « كَحِيلُ الْعَيْنِ» أي: في أجفان عينيه سواد خِلْقَةً من غير استعمال كحل.

وفي حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه الذي رواه أحمد في مسنده والترمذي في جامعه: «كان في ساقي رسول الله ﷺ حُمُوشة، وكان لا يضحك إلا تبسُّماً، وكنتُ إذا نظرتُ إليه قلتُ: أكحل العينين وليس بأكحل».

72- أَسِيلُ خَدٍّ مَلِيحُ الثَّغْرِ باسِمُهُ * مُفَلَّجٌ أَبْيَضُ الْأَسْنانِ ما الدُّرَرُ

« أَسِيلُ خَدٍّ» أي: مستطيلهما مع عدم ارتفاع الوجنة. «مَلِيحُ الثَّغْرِ» روى البخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة رضي الله عنه يَصِفُ رسول الله ﷺ : «كَانَ رَبْعَةً، وَهُوَ إِلَى الطُّوَلِ أَقْرَبُ، شَدِيدُ الْبَيَاضِ، أَسْوَدُ شَعْرِ اللِّحْيَةِ، حَسَنُ الثَّغْرِ، أَهْدَبُ أَشْفَارِ الْعَيْنَيْنِ، بَعِيدُ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ، مُفَاضُ الْجَبِينِ، يَطَأُ بِقَدَمِهِ جَمِيعًا، لَيْسَ لَهَا أَخْمُصُ، يُقْبِلُ جَمِيعًا، وَيُدْبِرُ جَمِيعًا، لَمْ أَرَ مِثْلَهُ قَبْلُ وَلَا بَعْدُ».

«باسِمُهُ»: كان رسول الله ﷺ لا يُرى إلا متبسماً، جاء في مسند أحمد وجامع الترمذي عن عبد الله بن الحارث رضي الله عنه قال: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ».

قوله: «مُفَلَّجٌ» أي: بين أسنانه تفرق يسير، والفلج: فُرْجَة بَين الثنايا والرباعيات. يزيدها جمالاً. «أَبْيَضُ الْأَسْنانِ» كأنَّ أسنانه برد الثلج لمعاناً وبياضاً، جاء في وصف هند بن أبي هالة لرسول الله ﷺ : «جُلُّ ضَحِكِهِ التَّبَسُّمُ، وَيَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ حَبِّ الْغَمَامِ». ومعنى يَفْتَرَّ: أي يظهر أسنانه ضاحكاً.

قوله: «ما الدُّرَرُ» هذا استفهام تحقير، أي أنَّ الدرَّ في بياضه ولمعانه وحسنه لا يساوي شيئا بالنسبة إلى جمال أسنان الحبيب المصطفى ﷺ.

73- أَقْنَى أَشَمُّ طَوِيلُ الْجِيدِ مُشْرِقُهُ * مِثْلَ اللُّجَيْنِ الْمُصَفَّى ما بِهِ عَكَرُ

«أَقْنَى» وهذا الوصف جاء في حديث هند بن أبي هالة السابق، وفيه قوله: «أَقْنَى الْعِرْنَيْنِ» أي طويل الأنف مع دقة أرنبته وحدب في وسطه، وأرنبة الأنف هو طرف الأنف الَّيِّن. قوله: «أشَمُّ» الشَّمَم بفتحتين هو: ارتفاع قصبة الأنف مع استواء أعلاها، ومع إشراف الأرنبة

قليلا، فالرائي له ﷺ يظنّه أشمّ لحسن قناه ولنور علاه، ولو أمعن النظر لحكم بأنه غير أشمّ، ولذا جاء في وصف هند بن أبي هالة لرسول الله ﷺ : «يَحْسَبُهُ مَنْ لَمْ يَتَأَمَّلْهُ أَشَمَّ».

وقوله: «طَوِيلُ الْجِيدِ مُشْرِقُهُ * مِثْلَ اللُّجَيْنِ الْمُصَفَّى ما بِهِ عَكَرُ» الجيد: العنق، جاء في وصف هند بن أبي هالة لرسول الله ﷺ : «كَأَنَّ عُنُقَهُ جِيدُ دُمْيَةٍ فِي صَفَاءِ الْفِضَّةِ»، والدمية: الصورة، أو المنقوشة من رخام أو عاج ونحو ذلك، وشبَّه عنق النبي ﷺ بعنق الدمية؛ لأن الدمية يبالغ صانعها في تجميلها وحسنها، وخصها هند بالذكر لكونها كانت مألوفة عندهم، وخلاصة المعنى: أن حسنَ وبهاء عنق النبي ﷺ كأنه الدمية المصنوعة على أجمل شكل وأحسنه، ومن حيثُ الصفاء كصفاء الفضة. وقوله: «ما بِهِ عَكَرُ» أي ليس في حسن وصفاء عنق النبي ﷺ ما يعكره.

74- ذُو لِحْيَةٍ كِثَّةٍ زانَتْ مَحاسِنَهُ *كَما يَزِينُ عُيُونَ الْغادَةِ الْحَوَرُ

«ذُو لِحْيَةٍ كِثَّةٍ» أي: كثير شعر اللحية، ولذا جاء في وصف رسول الله ﷺ «ضخم الرأس واللحية»، وكان أسود اللحية حسن الشعر، وروى الإمام الترمذي في جامعه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأخذ من لحيته من عرضها وطولها). وفي الحديث عمر بن هارون وهو ضعيف لا يحتج به. قال الإمام الذهبي في تذكرة الحفاظ: « عمر بن هارون الحافظ الإمام المكثر عالم خراسان أبو حفص الثقفي مولاهم البلخي: من أوعية العلم على ضعف فيه ... قال أحمد بن سيار: كان كثير السماع كان قتيبة يطريه ويوثقه قلت: كذبه ابن معين جاء ذلك من وجهين عنه، وقال مرة: ليس بشيء. وقال أبو داود: ليس بثقة. وقال النسائي وجماعة. متروك. قلت لا ريب في ضعفه. وكان إماما حافظا في حروف القراءات. مات سنة أربع وتسعين ومائة». وكان في لحيته ﷺ سبع عشرة شعرة بيضاء.

قوله: «زانَتْ مَحاسِنَهُ *كَما يَزِينُ عُيُونَ الْغادَةِ الْحَوَرُ» المعنى: أنَّ اللحية الشريفة لسيدنا محمد ﷺ تُزَيِّنُ وجهه الكريم كما يُزَيِّنُ الحورُ عينَ الغادة؛ وهي الفتاة الناعمة.

75- وَلِمَّةٍ تَبْلُغُ الْأُذْنَيْنِ عاطِرَةٍ *كَالْمِسْكِ لَوْناً وَعَرْفاً حِينَ يَنْتَشِرُ

صَحَّ في جامع الترمذي عن البراء رضي الله عنه قال: (مَا رَأَيْتُ مِنْ ذِي لِمَّةٍ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَهُ شَعْرٌ يَضْرِبُ مَنْكِبَيْهِ). وفي صحيح مسلم من حديث البراء أيضاً قال: (كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلًا مَرْبُوعًا بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ عَظِيمَ الْجُمَّةِ إِلَى شَحْمَةِ أُذُنَيْهِ عَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ مَا رَأَيْتُ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). وعند الترمذي من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: (وَكَانَ لَهُ شَعْرٌ فَوْقَ الجُمَّةِ وَدُونَ الوَفْرَةِ).

ورد في هذه الأحاديث لفظ (اللِّمَّة) و (الْجُمَّة) و (الوَفْرَة)، فاللّمة بكسر اللام هي على الأصح: ما جاوز شحمة الأذن ووصلت المنكبين، وقيل: هي ما جاوز شحمة الأذن سواء وصل إلى المنكبين أو لا. وقيل: إنها بين الجُمَّة والوفرة، فهي ما نزل عن الوفرة ولم يصل الجمة.

وأما الجمة: فما نزل من شعر الرأس ووصل إلى المنكبين، وأما الوفرة فهي ما لم يصل إلى المنكبين. وهذه الألفاظ قد اضطرب أهل اللغة في تفسيرها كما قال البيجوري في شرحه للشمائل المحمدية المسمى «المواهب اللدنية على الشمائل المحمدية».

وهذا الاختلاف الوارد في وصف شعر رسول الله ﷺ محمول على اختلاف الأوقات، فكان إذا ترك تقصيره بلغ المنكب، وإذا قصره كان إلى الأذن أو شحمتها أو نصفها، فكان يطول ويقصر بحسب ذلك.

قوله: «عاطِرَةٍ * كَالْمِسْكِ لَوْناً وَعَرْفاً حِينَ يَنْتَشِرُ» المعنى: أن شَعَرَ رسول الله ﷺ كان له رائحة زكية كرائحة المسك، ولونه لون المسك، وقد كان النبي الكريم ﷺ طيب الرائحة دائما، وإن لم يمس طيبا، وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (مَا شَمَمْتُ عَنْبَرًا قَطُّ، وَلَا مِسْكًا، وَلَا شَيْئًا أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا مَسِسْتُ شَيْئًا قَطُّ دِيبَاجًا، وَلَا حَرِيرًا أَلْيَنَ مَسًّا مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، ولفظه عند ابن حبان: (وَلَا شَمَمْتُ رِيحًا قَطُّ، وَلَا عَرَقًا أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ عَرَقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

وفي مسند البزار عن أنس رضي الله عنه قال: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَسَلَّم إِذَا مَرَّ فِي طَرِيقٍ مِنْ طُرُقِ الْمَدِينَةِ وَجَدُوا مِنْهُ رَائِحَةَ الطِّيبِ وَقَالُوا: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَسَلَّم فِي هَذَا الطَّرِيقِ).

76- ضَخْمُ الْكَرادِيسِ رَحْبُ الصَّدْرِ واسِعُهُ * تُرى بِهِ شَعَراتٌ خَطَّها الْقَدَرُ

«ضَخْمُ الْكَرادِيسِ» الكراديس: هي رؤوس العظام، واحدها كردوس، قيل هو ملتقى كل عظمين كالركبتين والمرفقين والمنكبين، أراد أنه ﷺ ضخم الأعضاء. «رَحْبُ الصَّدْرِ واسِعُهُ» الرحب هو الواسع، ورحابة الصدر آية النّجابة والذكاء.

«تُرى بِهِ شَعَراتٌ» أي: تُرى على صدره شعرات من لَبَّتِه (أي: أعلى صدره) إلى سرته، وجاء في وصف رسول الله ﷺ أنه كان «طَوِيلَ الْمَسْرُبَةِ»، وفي لفظٍ: «دَقِيقَ الْمَسْرُبَةِ» وكلها بمعنى واحد، ولم يكن في جسده ولا صدره شعرات غيرهن. قوله: «خَطَّها الْقَدَرُ» أي: جعلها المولى تعالى كالخط على صدره الشريف.

77- شَثْنُ الْأَكُفِّ خَمِيصُ الْبَطْنِ ذُو عُكَنٍ * مَطْوِيَّةٍ طالَما يُطْوَي بِها الْحَجَرُ

«شَثْنُ الْأَكُفِّ» أي غليظ الكفين مع خشونة فيهما، وسبق في الحديث وصف النبي ﷺ بأنه ألين من الديباج والحرير، وجمع بعض العلماء بين الأمرين بأن المراد اللين في الجلد، والغلظ في العظام، فيجتمع له نعومة البدن وقوته. وقال بعض العلماء وصف النبي ﷺ بالخشونة إنما هو في حال عمل النبي ﷺ بكفه في الجهاد، أو في مهنة أهله، فيصير كفه خشنا لذلك، وإذا ترك ذلك رجع كفه إلى أصل جبلته من النعومة.

قال بعض العلماء: التحقيق في الشثن أنه الغلظ من غير قصر ولا خشونة.

«خَمِيصُ الْبَطْنِ» أي: ضامر البطن، ليس فيه سُمْنة. وفي مسند الحارث أن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: (مَضَى حَبِيبِي خَمِيصَ الْبَطْنِ مِنَ الدُّنْيَا). وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت لابن أختها عروة: (إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الهِلاَلِ، ثُمَّ الهِلاَلِ، ثَلاَثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَارٌ). فقال عروة: يَا

خَالَةُ: مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتْ: (الأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ وَالمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِيرَانٌ مِنَ الأَنْصَارِ، كَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ، وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَلْبَانِهِمْ، فَيَسْقِينَا).

«ذُو عُكَنٍ» العكن: جمع عُكنة بالضم؛ طيّة من طيات البطن، وكان له ﷺ ثلاث عكن.

78- عَبْلُ الذِّراعَيْنِ والسَّاقَيْنِ مُمْتَلِئٌ * إزارُهُ وَلِنِصْفِ السَّاقِ يَتَّزِرُ

«عَبْلُ الذِّراعَيْنِ والسَّاقَيْنِ مُمْتَلِئٌ» جاء وصفه بذلك في حديث هند بن أبي هالة الذي سبق مراراً، ومعنى كونه ﷺ عبل الذارعين أي ضخم الذراعين والساقين، والذراع هو: ما بين مفصل الكفّ والمرفق، أو: من المرفق إلى أطراف الأصابع. والساق هو: ما بين مفصل الركبة والقدم.

«إزارُهُ وَلِنِصْفِ السَّاقِ يَتَّزِرُ» أي: كان من هديه ﷺ أن يرفع إزاره إلى منتصف الساقين، لأن ذلك أبعد عن الفخر والخيلاء، وأطهر للثوب من التلوث بالنجاسات والأوساخ، جاء في موطأ مالك عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله يقول: (إِزْرَةُ الْمُؤْمِنِ إِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ، لَا جُنَاحَ عَلَيْهِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَعْبَيْنِ، مَا أَسْفَلَ مِنْ ذَلِكَ فَفِي النَّارِ، مَا أَسْفَلَ مِنْ ذَلِكَ فَفِي النَّارِ، لَا يَنْظُرُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطَراً).

وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاَءَ، لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ أَحَدَ شِقَّيْ ثَوْبِي يَسْتَرْخِي، إِلَّا أَنْ أَتَعَاهَدَ ذَلِكَ مِنْهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكَ لَسْت تَصْنَعُ ذَلِكَ خُيَلاَءَ).

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لشاب: (ابْنَ أَخِي! ارْفَعْ ثَوْبَكَ، فَإِنَّهُ أَبْقَى لِثَوْبِكَ، وَأَتْقَى لِرَبِّكَ).

وفي مسند أحمد والسنن الكبرى للنسائي عن عبيدة بن خالد، وقيل: ابْنُ خلف الحنظلي وقيل: المحاربي قال: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ وَأَنَا شَابٌّ مُتَأَزِّرٌ بِبُرْدَةٍ لِي مَلْحَاءَ أَجُرُّهَا، فَأَدْرَكَنِي رَجُلٌ فَغَمَزَنِي بِمِخْصَرَةٍ مَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: (أَمَا لَوْ رَفَعْتَ ثَوْبَكَ كَانَ أَبْقَى وَأَنْقَى)، فَالْتَفَتُّ، فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا هِيَ بُرْدَةٌ مَلْحَاءُ، قَالَ: (وَإِنْ كَانَتْ بُرْدَةً مَلْحَاءَ، أَمَا لَكَ فِيَّ أُسْوَةٍ)، فَنَظَرْتُ إِلَى إِزَارِهِ فَإِذَا فَوْقَ الْكَعْبَيْنِ، وَتَحْتَ الْعَضَلَةِ.

79- سَجِيَّةٌ عِنْدَما يَمْشِي تَمايُلُهُ * تَخالُ عَنْ صَبَبٍ إِنْ سارَ يَنْحَدِرُ

يصف في هذا البيت مِشْيَة رسول الله ﷺ وأنَّ مِشْيَتَه كانت سجية، أي: طبعاً بلا تكلفٍ، فكان إذا مشى يتكفأ تكفأ كأنما ينحط من صبب، والمعنى أنه يميل إلى قُدَّام، وإذا وطئ بقدمه وطئ بكلها، وكان سريعاً في مشيه، إذا مشى مشى مجتمعا، أي: قوي الأعضاء غير مسترخ في المشي، كان إذا مشى تقلع؛ أي: يرفع قدمه عن الأرض ارتفاعة واحدة، كأنها تتقلع منها، ، وكان ذريع المشية، ومعناه: واسع الخطوة، وهذه مِشية أهل الكمال والعزم والهمة والشجاعة، البعيدة عن الزهو والاختيال، وهي أعدل المشيات، وأروحها للأعضاء.

قوله: «تَمايُلُهُ» أي مَيْلُه إلى الأمام، وهو الْمُعَبَّر عنه بالتكفأ، يُقال: تكفأت السفينة؛ أي: تمايلت بأمواج البحر. قوله: «تَخالُ» أي: تظن وتحسِب. قوله: «عَنْ صَبَبٍ» الصبب المنحدر من الأرض.

وقد وردت أحاديث في وصف مِشْيَة رسول الله ﷺ ، منها:

ما رواه الإمام أحمد في مسنده، والترمذي في الشمائل المحمدية، وابن حبان في صحيحه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ كَأَنَّ الشَّمْسَ تَجْرِي فِي جَبْهَتِهِ، وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَسْرَعَ فِي مِشْيَتِهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَأَنَّمَا الْأَرْضُ تُطْوَى لَهُ، إِنَّا لَنُجْهِدُ أَنْفُسَنَا، وَإِنَّهُ لَغَيْرُ مُكْتَرِثٍ).

وما رواه الإمام الترمذي في سننه والشمائل المحمدية من وصف سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه لرسول الله ﷺ : (إِذَا مَشَى تَقَلَّعَ كَأَنَّمَا يَمْشِي فِي صَبَبٍ). وفي لفظ: (إِذَا مَشَى تَكَفَّأَ تَكَفُّؤًا كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ).

80- يَفُوحُ مِنْ عَرَقٍ مِثْلَ الْجُمانِ لَهُ * شَذىً تَظَلُّ الْغَوانِي مِنْهُ تَعْتَطِرُ

«يَفُوحُ» ينتشر. «الجُمانِ» جمع، ومفرده جُمَانة، وهي: حبة تعمل من الفضة كالدرة. «لَهُ شَذىً» أي: شدة ذكاء الرائحة الطيبة. «الْغَوانِي» وفي معنى الغانية أربعة أقوال: فقيل: هي المرأة التي تُطْلَبُ من الناس، ولا تَطْلُب. وقيل: هي الغنية بحسنها وجمالها عن الزينة بالحُلِي والحُلَلِ. وقيل: هي التي أقامت ببيت أبويها ولم يقع عليها سباء. وقيل: هي الشابة العفيفة ذات زوج أم لا.

ثبت في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت في وصف حال رسول الله ﷺ عند نزول الوحي: (حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الجُمَانِ مِنَ العَرَقِ فِي يَوْمٍ شَاتٍ). وفي صحيح مسلم من حديث أنس رضي الله تعالى عنه قال: دَخَلَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ عِنْدَنَا، فَعَرِقَ، وَجَاءَتْ أُمِّي بِقَارُورَةٍ، فَجَعَلَتْ تَسْلِتُ الْعَرَقَ فِيهَا، فَاسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يَا أُمَّ سُلَيْمٍ مَا هَذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ؟» قَالَتْ: هَذَا عَرَقُكَ نَجْعَلُهُ فِي طِيبِنَا، وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الطِّيبِ».

وفي لفظ آخر: «فَفَزِعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: مَا تَصْنَعِينَ؟ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ. فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ نَرْجُو بَرَكَتَهُ لِصِبْيَانِنَا، قَالَ: «أَصَبْتِ».

صَلُّوا عَلَى الْمُصْطَفَى الْهادِي بِدَعْوَتِهِ * إِلَى طَرِيقِ الْهُدَى يا مَنْ هُنا حَضَرُوا

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَيْه

زهده وتواضعه وكريم أخلاقه

81- قَضَى ولَمْ يَكُ يَوْماً مُدْرِكاً شِبَعاً * مِنْ الشَّعِيرِ وكانَتْ فَرْشُهُ الْحُصُرُ

والمعنى أن النبي ﷺ عاش حياته من البعثة إلى أن فارق الدنيا ولم يشبع من الشعير، أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه مَرَّ بقوم بين أيديهم شاةٌ مَصْلِيَّةٌ، فَدَعَوْهُ، فَأَبَى أَنْ يأكل، وقال: (خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الدُّنْيَا وَلَمْ يَشْبَعْ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ).

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قال: «تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا فِي بَيْتِي مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ، إِلَّا شَطْرُ شَعِيرٍ فِي رَفٍّ لِي، فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ، فَكِلْتُهُ فَفَنِيَ».

وفي صحيح البخاري عَنْ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: سَأَلْتُ سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ، فَقُلْتُ: هَلْ أَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّقِيَّ؟ فَقَالَ سَهْلٌ: «مَا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّقِيَّ، مِنْ حِينَ ابْتَعَثَهُ اللَّهُ حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ» قَالَ: فَقُلْتُ: هَلْ كَانَتْ لَكُمْ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنَاخِلُ؟ قَالَ: «مَا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْخُلًا، مِنْ حِينَ ابْتَعَثَهُ اللَّهُ حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ» قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ كُنْتُمْ تَأْكُلُونَ الشَّعِيرَ غَيْرَ مَنْخُولٍ؟ قَالَ: كُنَّا نَطْحَنُهُ وَنَنْفُخُهُ، فَيَطِيرُ مَا طَارَ، وَمَا بَقِيَ ثَرَّيْنَاهُ فَأَكَلْنَاهُ».

والنقي: النظيف الأبيض، الذي ينخل دقيقه بعد الطحن إلى أن يصبح نقيا من النُّخَالة. و«ثَرَّيْنَاه» أي بللناه بالماء حتى صار ليّناً.

قوله: «وكانَتْ فَرْشُهُ الْحُصُرُ»، جاء في صحيح مسلم من حديث عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، في حديث طويل وفيه: «فَدَخَلْتُ، فَسَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا هُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى رَمْلِ حَصِيرٍ، قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ ... فَرَفَعْتُ رَأْسِي فِي الْبَيْتِ، فَوَاللهِ، مَا رَأَيْتُ فِيهِ شَيْئًا يَرُدُّ الْبَصَرَ، إِلَّا أَهَبًا ثَلَاثَةً، فَقُلْتُ: ادْعُ اللهَ يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ يُوَسِّعَ عَلَى أُمَّتِكَ، فَقَدْ وَسَّعَ عَلَى فَارِسَ وَالرُّومِ، وَهُمْ لَا يَعْبُدُونَ اللهَ، فَاسْتَوَى جَالِسًا، ثُمَّ قَالَ: أَفِي شَكٍّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ... ». ومعنى «رَمْلِ حَصِيرٍ» أي:

حصير منسوج، يُقَالُ رَمَلْتُ الْحَصِيرَ وَأَرْمَلْتُهُ إِذَا نَسَجْتُهُ، والأهب بضم الهمزة والهاء وبفتحهما، لغتان مشهورتان، جمع إهاب، وهو الجلد قبل الدباغ، وقيل: الجلد مطلقًا، دبغ أو لم يدبغ.

وكان لرسول الله ﷺ فراشٌ من الجلد المدبوغ ينام عليه، ففي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: (إِنَّمَا كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي يَنَامُ عَلَيْهِ أَدَمًا حَشْوُهُ لِيفٌ).

«أدَمًا» هو الجلد المدبوغ. «حَشْوُهُ لِيفٌ» أي: محشو من ليف النخل.

فتأمل أيها المسلم في فراش نبي الله ﷺ الذي اختاره لنفسه دون أن يُحرم لَيّنَ الفراش، ولكنه مشغول بالله تعالى، مقبل على مهمات عظيمة، جعلتْهُ مُعرضاً عن الرفاهية والدَّعة، لا عن فقر وحاجة، فقد كانت الأموال تجبى إليه من كل مكان؛ فلا تبيت في بيته حتى يقسمها بين المسلمين، وهكذا أصحاب الأعمال العظيمة الجليلة قد ينشغلون عن كثير من مُتَعِ الطعام واللباس والمسكن بما هم فيه من مهمات.

82- هَذا وقَدْ مُلِّكَ الدُّنْيا بِأَجْمَعِها * فَرَدَّهُ الزُّهْدُ عَنْها وَهْوَ مُقْتَدِرُ

قوله: «مُلِّكَ الدُّنْيا بِأَجْمَعِها» أي عرضت عليه ليتملكها. قوله: «فَرَدَّهُ الزُّهْدُ عَنْها» أي: أن زهده ردَّه عن تملك الدنيا والاشتغال بها. قوله: «وَهْوَ مُقْتَدِرُ» أي: مقتدر على تملك الدنيا عند عرضها عليه.

يُشير الناظم بهذا البيت إلى الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده، وأبو يعلى في مسنده، وابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة، قال: جلس جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فنظر إلى السماء، فإذا ملك ينزل، فقال جبريل: إن هذا الملك ما نزل منذ يوم خلق قبل الساعة، فلما نزل قال: يا محمد، أرسلني إليك ربك، قال: أفَمَلِكَاً نبياً يجعلك، أو عبدا رسولا؟، قال جبريل: تواضع لربك يا محمد، قال: بل عبداً رسولاً.

وهو في كتاب الزهد للإمام ابن المبارك عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كان يحدث: أن الله قد أرسل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ملكا من الملائكة معه جبرئيل، فقال

الملك: يا رسول الله، إن الله تعالى يخيرك بين أن تكون عبدا نبيا، وبين أن تكون ملكا نبيا؟ فالتفت النبي إلى جبرئيل كالمستشير له، فأشار جبرئيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده أن تواضع، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا، بل أكون عبدا نبيا»، فما أكل بعد تلك الكلمة طعاما متكئا حتى لقي ربه عز وجل».

وهو عند الطبراني في المعجم الأوسط بلفظ: فأتاه إسرافيل، فقال: إن الله سمع ما ذكرت، فبعثني إليك بمفاتيح خزائن الأرض، وأمرني أن يعرض عليك إن أحببت أن أسير معك جبال تهامة زمردا، وياقوتا، وذهبا، وفضة فعلت، فإن شئت نبيا ملكا، وإن شئت نبيا عبدا؟، فأومأ إليه جبريل أن تواضع، فقال: «بل نبيا عبدا».

فقوله: «مُلِّكَ الدُّنْيا بِأَجْمَعِها» أي عرضت عليه ليتملكها. قوله: «فَرَدَّهُ الزُّهْدُ عَنْها» أي: أن زهده ردَّه عن تملك الدنيا والاشتغال بها. قوله: «وَهْوَ مُقْتَدِرُ» أي: مقتدر على تملك الدنيا عند عرضها عليه.

83- فَالثَّوْبُ يَرْقَعُهُ والشَّاةُ يَحْلِبُها * وما رُؤِي لِأَخِي الْإِعْدامِ يَحْتَقِرُ

روى الإمام أحمد في مسنده أنه قيل لعائشة رضي الله عنها ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: «كَمَا يَصْنَعُ أَحَدُكُمْ: يَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيُرَقِّعُ ثَوْبَهُ». وعند أحمد في مسنده والبخاري في الأدب المفرد وابن حبان في صحيحه بلفظ: «كَانَ بَشَرًا مِنَ الْبَشَرِ يَفْلِي ثَوْبَهُ، وَيَحْلُبُ شَاتَهُ، وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ». وفي لفظٍ عند ابن حبان في صحيحه: «يَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَخِيطُ ثَوْبَهُ، وَيَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ كَمَا يَعْمَلُ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ».

قوله: «وما رُؤِي لِأَخِي الْإِعْدامِ يَحْتَقِرُ» الْمُعْدَم هو الفقير الذي ليس عنده شيء، ولَمَّا كان الفقر والإعدام مصاحبا له صار كأنه أخ له، والمعنى أن النبي ﷺ لم يكن يحتقر الْمُعْدَمِين، بل كان رحيما كريما سخياً.

84- وَالْبَيْتُ يَكْنِسُهُ وَالنَّعْلُ يَخْصِفُها * وإِنْ دُعِي أَسْعَفَ الدَّاعِي وَلا يَذَرُ

«يَكْنسه» أي: يُنَظِّفُه ويُزيل قمامته. «يَخْصِفُها» أي يخيطها. «أسْعَفَ» أي بادر إلى قضاء حاجة المحتاج. «ولا يذر» أي: لا يترك. والمعنى: أن النبي الكريم ﷺ إذا دعاة محتاج أو ملهوف أسرع إلى مساعدته ولم يتركه في حاجته.

85- كانَ الْبُراقُ لَهُ والْخَيْلُ يَرْكَبُها * وَالْإِبْلُ أَيْضاً كَذاكَ الْبَغْلُ وَالْحُمُرُ

أي أنه ركب البراق ليلة الإسراء، والبراق: دابة ركبها النبي ﷺ ليلة الإسراء فوق الحمار ودون البغل، تضع حافرها في منتهى طَرْفِها. وهي التي كانت تُحْمَل عليها الأنبياء قبل نبينا ﷺ. وقد ركب نبينا ﷺ الخيل والإبل والبغال والحمير، ولم يكن يستنكف ولا يستكبر عن ركوب شيء منها لتواضعه وكَرَمِ أخلاقه.

86- ما عابَ قَطُّ طَعاماً أَحْضَرُوهُ لَهُ * وَلا لِسائِلِهِ اللَّحّاحِ يَنْتَهِرُ

يشير الناظم بصدر البيت إلى الحديث الثابت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: (مَا عَابَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَعَامًا قَطُّ، إِنِ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ وَإِلَّا تَرَكَهُ). وذلك من كمال أدبه ﷺ.

وأما قوله: «وَلا لِسائِلِهِ اللَّحّاحِ يَنْتَهِرُ» فهو الأدب الذي أدبه ربُّهُ بِه، قال تعالى: {وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ} [الضحى: 10] واللَّحَاح: هو من يكثر السؤال. و «ينتهر» يزجر.

87- يَعْفُو وَيَصْفَحُ عَنْ جانٍ جَنَى كَرَماً * وَيَقْبَلُ الْعُذْرَ مِمَّنْ جآءَ يَعْتَذِرُ

أي: أنَّ سيدنا رسول الله ﷺ لكرم أخلاقه يسامح الجاني فلا يعاقبه ولا يلومه، قوله: «يَعْفُو وَيَصْفَحُ» الفرق بين العفو والصفح أن العفو ترك عقوبة المذنب، والصفح: ترك لومه، قال تعالى: {فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا} [البقرة: 109]. فتقديم ذكر العفو على الصفح هو من الترقي في ذكر مكارم الأخلاق، والانتقال من الحسن إلى الأحسن.

قوله: «وَيَقْبَلُ الْعُذْرَ مِمَّنْ جآءَ يَعْتَذِرُ» وقد جاء في وصف رسول الله ﷺ أنه: «لا يجفو على أحد، ولو فعل معه ما يوجب الجفاء. وكان ﷺ يقبل معذرة المعتذر إليه، ولو فعل ما فعل». ومن روائع ما قيل في قبول عذر المعتذر:

اِقبلْ معاذِير منْ يَأتيكَ مُعْتَذِرا ... إنْ بَرَّ عندكَ فيما قال أوْ فَجَرا

لقد أطاعكَ منْ أرْضاكَ ظاهِرُه ... وقدْ أجَلَّكَ منْ يَعْصيكَ مُسْتَتِرا

قوله: «عَنْ جانٍ جَنَى» الجاني هو مرتكب الجناية، والجناية هي: الذنب والجرم وما يفعله الإنسان مما يوجب عليه العذاب أو القصاص في الدنيا والآخرة.

روى ابن عساكر في معجمه بإسناد ضعيف أن النبي ﷺ قال: (مَنْ لَمْ يَقْبَلْ مِنْ مُتَنَصِّلٍ عُذْرًا صادِقًا كَانَ أَو كَاذِبًا لَمْ يَرِدْ عَلَيَّ الحَوْضَ). قال ابن عساكر: غريب من حديث أبي هدبة وهو ضعيف. قال ابن المعتز:

قِيلَ لِي قَدْ أَسَاءَ إِلَيْكَ فُلَانُ ... وَقُعُودُ الْفَتَى عَلَى الضَّيْمِ عَارُ

قُلْتُ قَدْ جَاءَنَا فَأَحْدَثَ عُذْرَا ... دِيَةُ الذَّنْبِ عِنْدَنَا الِاعْتِذَارُ

88- وَلَيْسَ يَغْضَبُ إِلاّ أَنْ تُرَى حُرَمٌ * لِلّهِ مَنْهُوكَةً أَوْ هُتِّكَتْ سُتُرُ

يشير الناظم بهذا البيت إلى حديث الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: (وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ، إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ).

89- ما أَمَّهُ سائِلٌ يَرْجُو نَدا يَدِهِ * إِلّا انْثَنَى وَهْوَ مُثْرِي الْكَفِّ مُشْتَهِرُ

«ما أَمَّهُ» أي: ما قصده. «نَدا يَدِهِ» أي: الجود والسخاء. «إِلّا انْثَنَى» أي: إلا رجع. «مُثْرِي الْكَفِّ» أي: كثير الثَّرَاء، قال الصاحب بن عباد في المحيط في اللغة: «والثَّرَاءُ: عَدَدُ المالِ الكَثِيْرِ. وثَرى الرَّجُلُ وأثْرى. والمُثْرِي والثَّرِيُّ: الرَّجُلُ الكَثِيْرُ الثَّرَاءِ».

وخلاصة المعنى: أنه ما قصده قاصد ولا توجه إليه محتاج إلا ووجد السخاء والكرم والجود، فيفوز السائل بمراده، ويحظى بمرغوبه، ويرجع بعد الفقر بالغنى.

ذكر بعض معجزاته ﷺ

90- يَدٌ بِها النَّفْعُ وَالضَّرَّا لِمُعْتَرِفٍ * وجاحِدٍ فَهِيَ الْأَدْواءُ وَالْوَطَرُ

أي هي يد بها النفع لبعض، والضراء لبعضٍ، فهي نافعة للمعترف بنبوته، الْمُقِر برسالته، المُتَّبع لهدايته، وهي أيضاً الضَّرَّاء للجاحد المنكر المعاند، فهي الأدواء (جمع داء) للمنكرين والمعاندين، وهي الوَطَر والمأمول وقضاء الحاجات للمعترفين المؤمنين.

91- كَمْ أَبْرَأَتْ أَلَماً كَمْ أَذْهَبَتْ لَمَماً *كَمْ أَظْهَرَتْ لِمَماً يَنْمُو لَهَا شَعَرُ

«أَبْرَأَتْ أَلَماً» أي: كثيراً ما كانت مسحة حانية من يده الشريفة تزيل مرضاً، وآخرى تذهب لَمَماً؛ واللَّمَمُ مُقَارَفَةُ الذَّنْبِ وقيلَ اللَّمَمُ ما دُونَ الكَبَائِرِ مِنَ الذُّنُوبِ، أي: وكثيرا ما أزالت مسحة من يده الشريفة ذنوباً تعلقت بها نفس فاعلها. «كَمْ أَظْهَرَتْ لِمَماً» اللِّمَّة شَعَرُ الرأس، وسبق تعريف اللِّمَّة والوَفرة.

وما سبق من المعجزات التي ساقها الله على يده ﷺ ، أخرج الإمام ابن أبي شيبة في مصنفه وأبو يعلى في مسنده، وأبو عوانة في مستخرجه عن قتادة بن النعمان أنه: (أُصِيبَتْ عَيْنُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، أَوْ يَوْمَ بَدْرٍ، فَسَالَتْ عَلَى وَجْنَتِهِ، فَأَرَادُوا أَنْ يَقْطَعُوهَا، ثُمَّ قَالُوا: نَأْتِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَسْتَشِيرُهُ، فَأَتَوُا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرُوا ذَلِكَ لَهُ، قَالَ: فَوَضَعَهَا فِي مَوْضِعِهَا، ثُمَّ غَمَزَهَا بِرَاحَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَكْسِبْهُ جَمَالًا» ، قَالَ: فَمَا يَدْرِي مَنْ لَقِيَهُ أَيَّ عَيْنَيْهِ أُصِيبَتْ).

وفي مسند أحمد وصحيح ابن حبان ومصنف بن أبي شيبة عن أبي زيد الأنصاري قال: (اسْتَسْقَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاءً، فَأَتَيْتُهُ بِقَدَحٍ فِيهِ مَاءٌ، فَكَانَتْ فِيهِ شَعَرَةٌ فَأَخَذْتُهَا فَقَالَ: " اللهُمَّ جَمِّلْهُ " قَالَ: فَرَأَيْتُهُ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ لَيْسَ فِي لِحْيَتِهِ شَعَرَةٌ بَيْضَاءُ).

وفي سنن الترمذي حَدَّثَنَا أَبُو زَيْدِ بْنُ أَخْطَبَ، قَالَ: (مَسَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ عَلَى وَجْهِي وَدَعَا لِي). قَالَ عَزْرَةُ: إِنَّهُ عَاشَ مِائَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً وَلَيْسَ فِي رَأْسِهِ إِلَّا شُعَيْرَاتٌ بِيضٌ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ» وَأَبُو زَيْدٍ اسْمُهُ: عَمْرُو بْنُ أَخْطَبَ

وفي مسند أحمد وسنن الدارمي ومصنف بن أبي شيبة ومعجم الطبراني الكبير من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ بِوَلَدِهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ بِهِ لَمَمًا، وَإِنَّهُ يَأْخُذُهُ عِنْدَ طَعَامِنَا، فَيُفْسِدُ عَلَيْنَا طَعَامَنَا، قَالَ: " فَمَسَحَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدْرَهُ، وَدَعَا لَهُ، فَثَعَّ ثَعَّةً، فَخَرَجَ مِنْ فِيهِ مِثْلُ الْجَرْوِ الْأَسْوَدِ، فَشُفِيَ».

وروى الطبراني في معاجمه الثلاثة عن عَطَاءٍ، مُولِي السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: رَأَيْتُ مَوْلَايَ السَّائِبَ، لِحْيَتُهُ بَيْضَاءَ، وَرَأْسُهُ أَسْوَدُ، قُلْتُ: يَا مَوْلَايَ، مَا لِرَأْسِكَ لَا تَبْيَضُّ؟ قَالَ: لَا يُبَيِّضُ رَأْسِي أَبَدًا، وَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَضَى وَأَنَا غُلَامٌ أَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَسَلَّمَ عَلَى الْغِلْمَانِ وَأَنَا فِيهِمْ، فَرَدَدْتُ عَلَيْهِ السَّلَامَ بَيْنَ الْغِلْمَانِ، فَدَعَانِي فَقَالَ: «مَا اسْمُكَ؟» قُلْتُ: السَّائِبُ بْنُ يَزِيدَ ابْنُ أُخْتِ نَمِرٍ، «فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِي، وَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ» ، فَلَا يَبْيَضُّ مَوْضِعُ يَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَدًا».

وفي مصنف ابن أبي شيبة ومعجم الطبراني الكبير أن حَبِيبَ بْنَ فُرَيْكٍ أَنَّ أَبَاهُ خَرَجَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَيْنَاهُ مُبْيَضَّتَانِ لَا يُبْصِرُ بِهِمَا شَيْئًا، فَسَأَلَهُ: «مَا أَصَابَهُ؟» ، قَالَ: كُنْتُ أَمْرِي جَمَلًا لِي فَوَقَعَتْ رِجْلَيَّ عَلَى بَيْضِ حَيَّةٍ فَأُصِيبَ بَصَرِي، فَنَفَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَيْنِهِ فَأَبْصَرَ فَرَأَيْتُهُ يُدْخِلُ الْخَيْطَ فِي الْإِبْرَةِ وَإِنَّهُ لِابْنِ ثَمَانِينَ وَإِنَّ عَيْنَيْهِ لَمُبْيَضَّتانِ». قال الحافظ البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة: «هَذَا إِسْنَادٌ ضَعِيفٌ لِجَهَالَةِ بَعْضِ رُوَاتِهِ».

92- وكَمْ شَفَتْ سَقَماً كَمْ أَظْهَرَتْ مَدَداً * كَمْ فَرَّجَتْ كَمَداً عَمَّنْ بِهِ عَوَرُ

السقم: المرض. والمِدَدُ: ما أمدَدْتَ به قوماً مِنْ جُنْدٍ وأعوان، أو طعام أو ما ينتفعون به. والكمد: الحزن الشديد، وتغير اللون.

والمعنى أنه حصل بمسح النبي الكريم ﷺ بيده الشريفة شفاء المرضى، وإزالة الحزن الشديد عمن أصابه العور كما سبق في الأحاديث.

93- ودَرَّتِ الشّاةُ مِنْها وَالْحَصَى نَطَقَتْ * فِيها وَأَوْرَقَتِ الْأَغْصانُ وَالشَّجَرُ

«ودَرَّتِ الشّاةُ مِنْها» كما سبق في حديث أم معبد وغيره، «وَالْحَصَى نَطَقَتْ» حديث تسبيح الحصى في يد النبي ﷺ رواه البزار في مسنده، والطبراني في معجمه الأوسط، والبيهقي في السنن الصغير، و الخلال في السنة، و ابن أبي عاصم في السنة، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن أبي ذر الغفاري قال: (إني لشاهد عند النبي ﷺ في حلقة وفي يده حصى فسبحن في يده، وفينا أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، فسمع تسبيحهن من في الحلقة، ثم دفعهن النبي إلى أبي بكر فسبحن مع أبي بكر، سمع تسبيحهن من في الحلقة، ثم دفعهن إلى النبي ﷺ فسبحن في يده، ثم دفعهن النبي ﷺ إلى عمر فسبحن في يده، وسمع تسبيحهن من في الحلقة، ثم دفعهن النبي ﷺ إلى عثمان بن عفان فسبحن في يده، ثم دفعهن إلينا فلم يسبحن مع أحد منا).

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: «والذي أقول إنها كلها مشتهرة عند الناس، وأما من حيث الرواية فليست على حد سواء فإن حنين الجذع وانشقاق القمر نقل كل منهما نقلا مستفيضا يفيد القطع عند من يطلع على طرق ذلك من أئمة الحديث دون غيرهم؛ ممن لا ممارسة له في ذلك، وأما تسبيح الحصى فليست له إلا هذه الطريق الواحدة مع ضعفها، وأما تسليم الغزالة فلم نجد له إسنادا لا من وجه قوي ولا من وجه ضعيف والله أعلم».

قوله: «وَأَوْرَقَتِ الْأَغْصانُ وَالشَّجَرُ» ومما يُذكر في ذلك أنَّ من بركة النبي ﷺ في صباه لما أخذته حليمة السعدية إلى قومها بني سعد، وكانت أرضهم جدباء لا زرع فيها، ومع ذلك فقد كان غنم حليمة يرجع شباعاً، فكان أهل حليمة يحلبون ويشربون، والناس من حولهم لا يجدون قطرة لبن، حتى كان الناس في قومها يقولون لرعاتهم: اسرحوا حيث يسرح راعى غنم حليمة.

قال بعضهم:

لقد بلغت بالهاشميّ حليمةٌ ... مقاماً علا في ذروة العزّ والمجد

وزادت مواشيها وأخصب ربعها ... وقد عمّ هذا السّعد كلّ بني سعد

94- وَالْقَوْمُ مِنْ رَمْيِها يَوْمَ اللِّقاءِ عَمُوا * وَمِنْ أَصابِعِها الْأَمْواهُ تَنْفَجِرُ

ذكر في هذا البيت قضيتين:

الأولى قوله «وَالْقَوْمُ مِنْ رَمْيِها يَوْمَ اللِّقاءِ عَمُوا» إشارة إلى ما حصل من النبي ﷺ يوم حنين حين قبض قبضة من تراب فحصب بها وجوه الكفار، فما بقي أحدٌ إلا أصابه ذلك التراب، روى الإمام مسلم في صحيحه عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: «... فَلَمَّا غَشُوا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَزَلَ عَنِ الْبَغْلَةِ، ثُمَّ قَبَضَ قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ مِنَ الْأَرْضِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ بِهِ وُجُوهَهُمْ، فَقَالَ: «شَاهَتِ الْوُجُوهُ»، فَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْهُمْ إِنْسَانًا إِلَّا مَلأَ عَيْنَيْهِ تُرَابًا بِتِلْكَ الْقَبْضَةِ، فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ، فَهَزَمَهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَسَمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَنَائِمَهُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ».

والثانية قوله: «وَمِنْ أَصابِعِها الْأَمْواهُ تَنْفَجِرُ» أي: ومن أصابع يده الشريفة ينفجر الماء المبارك، أخرج البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «عَطِشَ النَّاسُ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ فَتَوَضَّأَ، فَجَهِشَ النَّاسُ نَحْوَهُ، فَقَالَ: «مَا لَكُمْ؟» قَالُوا: لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ نَتَوَضَّأُ وَلاَ نَشْرَبُ إِلَّا مَا بَيْنَ يَدَيْكَ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الرَّكْوَةِ، فَجَعَلَ المَاءُ يَثُورُ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، كَأَمْثَالِ العُيُونِ، فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا قُلْتُ: كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ: لَوْ كُنَّا مِائَةَ أَلْفٍ لَكَفَانَا، كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً». قال الإمام جلال الدين السيوطي في كتابه الخصائص الكبرى: «قال البيهقي وغيره نبع الماء من الأصابع الشريفة وقع مرات متعددة».

95- وَالْماءُ مِنْ رِيقِهِ زادَتْ حَلاوَتُهُ * وَالنَّخْلُ مِنْ عامِهِ أَضْحَى لَهُ ثَمَرٌ

قوله: «وَالْماءُ مِنْ رِيقِهِ زادَتْ حَلاوَتُهُ» روى الإمام أحمد في مسنده وابن ماجه في سننه والطبراني في المعجم الكبير عن وائل بن حجر رضي الله عنه قال: « أتي النبي صلى الله عليه وسلم بدلو من ماء فشرب منه، ثم مج في الدلو، ثم صب في البئر أو شرب من الدلو، ثم مج في

البئر، ففاح منها مثل ريح المسك». ولفظه في مسند الحميدي: «أُتِيَ النبي صلى الله عليه وسلم بدلو من زمزم فشرب، ثم توضأ، ومضمض، ثم مجه في الدلو مسكا، أو قال أطيب من المسك».

قال الإمام القاضي عياض في الشفا بتعريف حقوق المصطفى: «بزق في بئر كانت في دار أنس فلم يكن بالمدينة أعذب منها، ومر على ماء فسأل عنه فقيل له اسمه بيسان وماؤه ملح، فقال: بل هو نعمان وماؤه طيب فطاب. وأتي بدلو من ماء زمزم فمج فيه فصار أطيب من المسك».

قال الإمام جلال الدين السيوطي في الخصائص الكبرى: «وأخرج الزبير بن بكار قال حدثني ابراهيم بن حمزة بن ابراهيم بن بسطاس عن محمد بن ابراهيم بن الحارث قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ذي قرد على ماء يقال له بيسان فسأل عنه فقيل اسمه يا رسول الله بيسان وهو مالح فقال بل هو نعمان وهو طيب فغير رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسم وغير الله تعالى الماء فاشتراه طلحة فتصدق به».

وذكر الحافظ ابن حجر في «إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة»: «بَزَقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بِئْرٍ فِي دَارِهِ فَلَمْ يَكُنْ فِي الْمَدِينَةِ أَعْذَبُ مِنْهَا».

وقوله: «وَالنَّخْلُ مِنْ عامِهِ أَضْحَى لَهُ ثَمَرٌ» روى الإمام أحمد في مسنده، والبيهقي في السنن الصغرى والكبرى من حديث بريدة أن سلمان الفارسي رضي الله عنه لما قدم المدينة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهدية على طبق فوضعها بين يديه، فقال: ما هذا يا سلمان؟ قال: صدقة عليك وعلى أصحابك، قال: "إني لا آكل الصدقة"، فرفعها، ثم جاءه من الغد بمثلها، فوضعها بين يديه، فقال: "ما هذا"؟ قال: هدية لك، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: " كلوا " قال: "لمن أنت "؟ قال: لقوم، قال: "فاطلب إليهم أن يكاتبوك "، قال: فكاتبوني على كذا وكذا نخلة أغرسها لهم، ويقوم عليها سلمان حتى تطعم، قال: ففعلوا، قال: فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فغرس النخل كله إلا نخلة واحدة غرسها عمر رضي الله

عنه، فأطعم نخله من سنته إلا تلك النخلة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من غرسها "؟ قالوا: عمر، فغرسها رسول الله صلى الله عليه وسلم من يده، فحملت من عامها».

وفي لفظ: «فنزعها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم غرسها فحملت من عامها».

96- وَالْجِذْعُ حَنَّ إِلَيْهِ حِينَ فارَقَهُ * حَتَّى عَلا مِنْهُ ما بَيْنَ الْمَلا خُوَرُ

روى الإمام البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ إِلَى جِذْعٍ، فَلَمَّا اتَّخَذَ المِنْبَرَ تَحَوَّلَ إِلَيْهِ فَحَنَّ الجِذْعُ فَأَتَاهُ فَمَسَحَ يَدَهُ عَلَيْهِ». ولفظ الترمذي في جامعه: «حَنِينَ النَّاقَةِ، فَنَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَسَّهُ فَسَكَتَ». وفي مسند الإمام أحمد: «فَاحْتَضَنَهُ فَسَكَنَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْ لَمْ أَحْتَضِنْهُ، لَحَنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ». وفي مسند أحمد من حديث جابر رضي الله عنه قال: «قَالَ جَابِرٌ: " حَتَّى سَمِعَهُ أَهْلُ الْمَسْجِدِ». وفي المعجم الأوسط للطبراني: «فَحَنَّ الْجِذْعُ كَمَا تَحِنُّ النَّاقَةُ، فَنَزَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟ إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ اللَّهَ فَرَدَّكَ إِلَى مُحْتَبَسِكَ، وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ اللَّهَ فَأَدْخَلَكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ فَأَثْمَرْتَ فِيهَا، فَأَكَلَ مِنْ ثَمَرَتِكَ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ الْمُرْسَلُونَ، وَعِبَادُهُ الْمُتَّقُونَ» قَالَ: فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «نَعَمْ» فَغَارَ الْجِذْعُ.

قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية: «باب حنين الجذع شوقا إلى رسول الله وشغفا من فراقه: وقد ورد من حديث جماعة من الصحابة بطرق متعددة تفيد القطع عند أئمة هذا الشأن وفرسان هذا الميدان».

وفي صحيح ابن حبان أن الحسن البصري رحمه الله كان إذا حدَّثَ بهذا الحديث بكى، ثم قال: «يَا عِبَادَ اللَّهِ الْخَشَبَةُ تَحِنُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَوْقًا إِلَيْهِ لِمَكَانِهِ مِنَ اللَّهِ، فَأَنْتُمْ أَحَقُّ أَنْ تَشْتَاقُوا إِلَى لِقَائِهِ».

97- وَالذِّئْبُ وَالضَّبُّ كُلٌّ مِنْهُما شَهِدا * شَهادَةَ الْحَقِّ يَرْوِيها لَكَ الْخَبَرُ

أما حديث شهادة الذئب لرسول الله ﷺ فرواه الإمام أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه والبيهقي في دلائل النبوة، والحاكم في المستدرك بإسناد صحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «بينا راع يرعى بالحرة إذ عرض ذئب لشاة من شائه، فجاء الراعي يسعى فانتزعها منه، فقال للراعي: ألا تتقي الله، تحول بيني وبين رزق ساقه الله إلي؟ قال الراعي: العجب للذئب – وَالذِّئْبُ مُقْعٍ عَلَى ذَنَبِهِ – يكلمني بكلام الإنس، قال الذئب للراعي: ألا أحدثك بأعجب من هذا، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين، يحدث الناس بأنباء ما قد سبق، فساق الراعي شاءه إلى المدينة، فزواها في زاوية من زواياها، ثم دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له ما قال الذئب، فخرج رسول الله وقال للراعي: «قم فأخبر»، فأخبر الناس بما قال الذئب، وقال صلى الله عليه وسلم: «صدق الراعي، ألا من أشراط الساعة كلام السباع الإنس، والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس، ويكلم الرجل نعله، وعذبة سوطه، ويخبره فخذه بحديث أهله بعده».

وأما حديث شهادة الضب فرواه الإمام الطبراني في معجه الأوسط والصغير، وأبو نعيم في دلائل النبوة عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو حديث طويل جاء فيه أن الأعرابي قال: « واللات والعزى لا آمنت بك إلا أن يؤمن بك هذا الضب، فأخرج الضب من كمه فطرحه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: إن آمن بك هذا الضب آمنت.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا ضب فتكلم الضب بلسان عربي مبين يفهمه القوم جميعا: لبيك وسعديك يا رسول رب العالمين، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ومن تعبد يا ضب؟ قال: الله الذي في السماء عرشه وفي الأرض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عذابه، قال: فمن أنا يا ضب؟ قال: أنت رسول رب العالمين وخاتم المرسلين، قد أفلح من صدقك، وقد خاب من كذبك، فقال الأعرابي: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله حقا، والله لقد أتيتك وما على وجه الأرض أحد هو أبغض إلي منك، ووالله لأنت الساعة أحب إلي من نفسي ومن ولدي وقد آمنت بشعري وبشري، وداخلي وخارجي،

وسري وعلانيتي، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: الحمد لله الذي هداك إلى هذا الدين الذي يعلو ولا يعلى ...».

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: «رواه الطبراني في الصغير والأوسط عن شيخه محمد بن علي بن الوليد البصري قال البيهقي: والحمل في هذا الحديث عليه. قلت: وبقية رجاله رجال الصحيح».

98- وَراحَ يَشْكُو إِلَيهِ جَوْرَ صاحِبِهِ الْ * بَعِيرُ وَالدَّمْعُ مِنْ عَيْنَيْهِ مُنْحَدِرُ

أي: أن البعير راح يشكو إلى رسول الله ﷺ ظُلْمَ مالِكِه، وحديث شكوى البعير رواه الإمام أحمد في مسنده وأبو داود في سننه والحاكم في مستدركه من حديث عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهم، قال: أردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم خلفه، فأسر إلي حديثا لا أحدث به أحدا من الناس، قال: «وكان أحبَّ ما استتر به رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته هدفٌ أو حايشُ نخلٍ فدخل حائطا لرجل من الأنصار، فإذا جمل فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم حن إليه، وذرفت عيناه، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فمسح ذفرته فسكن، فقال: من رب هذا الجمل لمن هذا الجمل؟ قال: فجاء فتى من الأنصار فقال: هو لي يا رسول الله فقال: «ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها، فإنه شكا لي أنك تجيعه وتدئبه».

وفي مسند أحمد من حديث يَعْلَى بْنِ مُرَّةَ رضي الله عنه قال: وكنت معه — أي: مع رسول الله ﷺ – جالسا ذات يوم إذ جاء جمل يخبب، حتى ضرب بجرانه بين يديه، ثم ذرفت عيناه، فقال: "ويحك، انظر لمن هذا الجمل، إن له لشأنا" قال: فخرجت ألتمس صاحبه، فوجدته لرجل من الأنصار، فدعوته إليه، فقال: "ما شأن جملك هذا؟" فقال: وما شأنه؟ قال: لا أدري والله ما شأنه، عملنا عليه، ونضحنا عليه، حتى عجز عن السقاية، فأتمرنا البارحة أن ننحره، ونقسم لحمه. قال: "فلا تفعل، هبه لي، أو بعنيه" فقال: بل هو لك يا رسول الله. قال: فوسمه بسمة الصدقة، ثم بعث به".

99- وأَطْعَمَ الجَيْشَ مِنْ صاعٍ فَأَشْبَعَهُ * وَمِنْهُ أَرْواهُ لَمَّا مَسَّهُ الْعُسُرُ

يشير الناظم رحمه الله بهذا البيت إلى الحديث الثابت في الصحيحين عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لما حفر الخندق رأيت بالنبي ﷺ خمصا شديدا، فانكفأت إلى امرأتي، فقلت: هل عندك شيء؟ فإني رأيت برسول الله ﷺ خمصا شديدا، فأخرجت إلي جرابا فيه صاع من شعير، ولنا بهيمة داجن فذبحتها، وطحنت الشعير، ففرغت إلى فراغي، وقطعتها في برمتها، ثم وليت إلى رسول الله ﷺ ، فقالت: لا تفضحني برسول الله ﷺ وبمن معه، فجئته فساررته، فقلت: يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنا صاعا من شعير كان عندنا، فتعال أنت ونفر معك، فصاح النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «يا أهل الخندق، إن جابرا قد صنع سورا، فحي هلا بكم» فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تنزلن برمتكم، ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء». فجئت وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم الناس حتى جئت امرأتي، فقالت: بك وبك، فقلت: قد فعلت الذي قلت، فأخرجت له عجينا فبصق فيه وبارك، ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك، ثم قال: ادع خابزة فلتخبز معي، واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها» وهم ألف، فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا، وإن برمتنا لتغط كما هي، وإن عجيننا ليخبز كما هو».

والسَّوْر بالحبشية: دعوةُ الطعام.

100- بِأَمْرِهِ الْغَيْثُ وَالْبَدْرُ الْمُنِيرُ وشَمْـ * سُ الْأُفْقِ والظَّبْيُ كُلٌّ ظَلَّ يَأْتَمِرُ

المعنى: أن الغيث: وهو المطر، والقمر والشمس والظبي مُسَخَّرة بأمر الله تعالى لنبيه ﷺ، فببركة دعائه حُبِست الشمس، وانشق القمر، ونزل المطر، وشهد الظبي له بالنبوة بأمره ﷺ.

أما نزول المطر فالأحاديث الواردة فيه كثيرة، ومنها ما رواه الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أصابت الناس سنة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فبينا النبي صلى الله عليه وسلم يخطب في يوم جمعة قام أعرابي، فقال يا رسول الله: هلك المال وجاع العيال، فادع الله لنا، فرفع يديه وما نرى في السماء قزعة، فوالذي نفسي بيده، ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على

لحيته صلى الله عليه وسلم، فمطرنا يومنا ذلك، ومن الغد وبعد الغد، والذي يليه، حتى الجمعة الأخرى، وقام ذلك الأعرابي – أو قال: غيره – فقال: يا رسول الله، تهدم البناء وغرق المال، فادع الله لنا، فرفع يديه فقال: «اللهم حوالينا ولا علينا» فما يشير بيده إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت، وصارت المدينة مثل الجوبة، وسال الوادي قناة شهرا، ولم يجئ أحد من ناحية إلا حدث بالجود».

وأما «البدر المنير» فهو القمر، وانشقاقه لرسول الله ﷺ وارد في القرآن، قال الله تعالى: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ} [القمر: 1]، قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: «كان هذا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما ثبت ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة، وقد ثبت في الصحيح عن ابن مسعود أنه قال: "خمس قد مضين: الروم، والدخان، واللزام، والبطشة، والقمر". وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أي انشقاق القمر، قد وقع في زمان النبي صلى الله عليه وسلم وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات».

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه «أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية، فأراهم القمر شقتين، حتى رأوا حراء بينهما».

وأما حبس الشمس لرسول الله ﷺ فيقول الإمام الحافظ ابن حجر في «التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير»: «روى الطحاوي: أن الله حبس الشمس للنبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق، حين شغلوا عن صلاة العصر حتى غربت الشمس، فردها الله عليه حتى صلى العصر. وحكى النووي عنه في شرح مسلم أن رواته ثقات ذكره في باب تحليل الغنائم».

قال الإمام السخاوي في «المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة»: «حَدِيث: رَدُّ الشَّمْسِ عَلَى عليٍّ، قال أحمد: لا أصل له، وتبعه ابن الجوزي، فأورده في الموضوعات، ولكن قد صححه الطحاوي، وصاحب الشفاء، وأخرجه ابن مندة، وابن شاهين من حديث أسماء ابنة عميس، وابن مردويه من حديث أبي هريرة، وكذا ردت للنبي ﷺ حين أخبر قومه بالرفقة التي رآها في ليلة الإسراء، وأنها تجيء في يوم كذا، فأشرقت قريش ينظرون، وقد

ولى النهار ولم تجيء، فدعا النبي ﷺ، فزيد له في النهار ساعة، وحبست عليه الشمس، قال راويها: فلم تحبس على أحد إلا على النبي ﷺ يومئذ، وعلى يوشع بن نون حين قاتل الجبارين يوم الجمعة، فلما أدبرت الشمس خاف أن تغيب قبل أن يفرغ منهم، ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه، فدعا الله فرد عليه الشمس حتى فرغ من قتالهم».

وحديث ردِّ الشمس لسيدنا علي رضي الله عنه رواه الطبراني في المعجم الكبير عن أسماء بنت عميس، أن رسول الله ﷺ صلى الظهر بالصهباء، ثم أرسل عليا في حاجة، فرجع وقد صلى النبي ﷺ العصر، فوضع النبي ﷺ رأسه في حجر علي فنام، فلم يحركه حتى غابت الشمس، فقال النبي ﷺ: «اللهم إن عبدك عليا احتبس بنفسه على نبيه فرد عليه الشمس» قالت: فطلعت عليه الشمس حتى رفعت على الجبال وعلى الأرض، وقام علي فتوضأ وصلى العصر، ثم غابت وذلك بالصهباء». قال المحدث العجلوني في كشف الخفاء: «وروى الطبراني في الكبير والأوسط بسند صحيح أن النبي ﷺ أمر الشمس فتأخرت ساعة من نهار».

وأما حديث الظبية «أي: الغزال» فلفظه كما في دلائل النبوة للبيهقي: «مر رسول الله ﷺ بظبية مربوطة إلى خباء، فقالت: يا رسول الله! حلني حتى أذهب فأرضع خشفي، ثم أرجع فتربطني، فقال رسول الله ﷺ: «صيد قوم وربيطة قوم» ، قال: فأخذ عليها فحلفت له، فحلها، فما مكثت إلا قليلا حتى جاءت وقد نفضت ما في ضرعها، فربطها رسول الله ﷺ ، ثم أتى خباء أصحابها فاستوهبها منهم فوهبوها له، فحلها ثم قال رسول الله ﷺ: لو علمت البهائم من الموت ما تعلمون ما أكلتم منها سمينا أبدا».

ثم قال البيهقي: «وروي من وجه آخر ضعيف ... عن زيد ابن أرقم، قال: كنت مع النبي ﷺ في بعض سكك المدينة، فمررنا بخباء أعرابي فإذا ظبية مشدودة إلى الخباء، فقالت: يا رسول الله: إن هذا الأعرابي اصطادني ولي خشفان في البرية، وقد تعقد اللبن في أخلافي، فلا هو يذبحني فأستريح، ولا يدعني فأرجع إلى خشفي في البرية، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن تركتك ترجعين؟ قالت: نعم وإلا عذبني الله عذاب العشار، فأطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم تلبث أن جاءت تلمظ، فشدها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخباء،

وأقبل الأعرابي ومعه قربة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتبيعنيها؟ قال: هي لك يا رسول الله، فأطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال زيد بن أرقم: فأنا والله رأيتها تسيح في البرية، وتقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله».

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في كتابه: «موافقة الخُبر الخَبر في تخريج أحاديث المختصر»: «وأما تسليم الغزالة فمشتهر في الألسنة وفي المدائح النبوية، ولم أقف لخصوص السلام على سند، وإنما ورد الكلام في الجملة». ومما ينبغي الانتباه له أن الحافظ ابن حجر فرق بين سلام الظبية وكلامها، والذي لم يقف له الحافظ على سند هو سلامها، وأما كلامها فقد ورد مُسْنَداً بطرق واهية ذكرها الحافظ وتكلم على أسانيدها، وإنما نبهت على هذا لأن بعض المعاصرين يوردون كلام الحافظ في سلامها على كلامها مع الفرق بينهما.

قال الحافظ ابن كثير في سند أبي نعيم الأصبهاني كما في كتابه «تحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب»: «هذا الحديث متنه فيه نكارة وسنده ضعيف».

وقال الحافظ السخاوي في كتابه «المقاصد الحسنة»: «حديث تسليم الغزالة اشتهر على الألسنة، وفي المدائح النبوية، وليس له كما قاله ابن كثير أصل، ومن نسبه إلى النبي ﷺ فقد كذب، ولكن قد ورد الكلام في الجملة في عدة أحاديث يتقوى بعضها ببعض، أوردها شيخنا في المجلس الحادي والستين من تخريج أحاديث المختصر».

101- فَلا تَرُمْ حَصْرَ آياتٍ لَهُ ظَهَرَتْ * إِلَّا إذا كانَ يُحْصَى الرَّمْلُ وَالْمَدَرُ

«تَرُم» أي: تقصد، و «الْمَدَر» طين متحبب، أو قِطَع الطين اليابس، والواحدة مدرة. والمعنى لا تقصد ولا تطمح في حصرِ ما كان لسيدنا محمد ﷺ من المعجزات الظاهرة الباهرة المتكاثرة، فإن حصرها متعذر كتعذر حصر حبات الرمل والحصى.

102- كَفَى بِمُعْجِزَةِ الْقُرْآنِ مُعْجِزَةً * طُولَ الزَّمانِ غَدا يُتْلَى ويُسْتَطَرُ

«كَفَى بِمُعْجِزَةِ الْقُرْآنِ» أي: القرآن معجزة يحصل بها الكفاية وزيادة. «طُولَ الزَّمانِ» فالقرآن معجزة باقية لا تنقضي. «غَدا يُتْلَى ويُسْتَطَرُ» أي: صار يُتلى بالألسن ويكتب في الصحف.

والمعنى: أن العاقل الناظر في معجزة القرآن يكفيه ذلك عن النظر فيما عداها من المعجزات، فالقرآن هو المعجزة الكبرى الباقية طول الزمان، قال الله تعالى: {أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [العنكبوت: 51].

قال الإمام الرازي في تفسيره الكبير المسمى بمفاتيح الغيب وهو يتحدث عن معجزة القرآن: «فإنه معجزة ظاهرة باقية، وقوله: أولم يكفهم عبارة تنبئ عن كون القرآن آية فوق الكفاية ... وهذا لأن القرآن معجزة أتم من كل معجزة تقدمتها لوجوه:

أحدها: أن تلك المعجزات وجدت ومادامت، فإن قلب العصا ثعبانا وإحياء الميت لم يبق لنا منه أثر، فلو لم يكن واحد يؤمن بكتب الله ويكذب بوجود هذه الأشياء لا يمكن إثباتها معه بدون الكتاب، وأما القرآن فهو باق لو أنكره واحد فنقول له فأت بآية من مثله.

الثاني: هو أن قلب العصا ثعبانا كان في مكان واحد ولم يره من لم يكن في ذلك المكان، وأما القرآن فقد وصل إلى المشرق والمغرب وسمعه كل أحد، وهاهنا لطيفة وهي أن آيات النبي عليه السلام كانت أشياء لا تختص بمكان دون مكان لأن من جملتها انشقاق القمر وهو يعم الأرض، لأن الخسوف إذا وقع عم، وذلك لأن نبوته كانت عامة لا تختص بقطر دون قطر، وغاضت بحيرة ساوة في قطر، وسقط إيوان كسرى في قطر، وانهدت الكنيسة بالروم في قطر آخر، إعلاماً بأنه يكون أمر عام.

الثالث: هو أن غير هذه المعجزة الكافر المعاند يقول إنه سحر عمل بدواء، والقرآن لا يمكن هذا القول فيه».

وقال الإمام البيضاوي في تفسيره المسمى «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»: «أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ آية مغنية عما اقترحوه. أَنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ يُتْلى عَلَيْهِمْ تدوم تلاوته عليهم مُتَحَدَّيْنَ به، فلا يزال معهم آية ثابتة لا تضمحل بخلاف سائر الآيات».

103- فِيهِ تَجَمَّعَتِ الْأَشْيا فَلا صُحُفٌ * إِلَّا وحازَ مَعانِيها ولا زُبُرُ

المعنى: أن الله تعالى قد جمع في القرآن جميع ما يحتاجه العباد في صلاح دينهم ودنياهم وآخرتهم، قال تعالى: {مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ} [الأنعام: 38]، والمراد بالكتاب قيل اللوح المحفوظ، وقيل القرآن. وقال تعالى: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ} [النحل: 89]، وقد جمع الله تعالى في القرآن الأشياء التي يجب معرفتها، والإحاطة بها، ويدل على ذلك لفظ التفريط، فإنه لا يُوصف بالتفريط إلا من ترك بيان ما يجب بيانه، ولا يوصف بالتفريط والتقصير من ترك فعل ما لا حاجة إليه، ولما كان المقصود من إنزال هذا الكتاب بيان الدين، ومعرفة الله ومعرفة أحكام الله، تبين أن المقصود بـ {مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ} و {تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ} أي: مما يتعلق بمقصوده.

ولذا كان في القرآن البيان للأصول، وأما التفاريع فأحال القرآن فيها إلى تبيين الرسول ﷺ واجتهاد العلماء، وذلك لأن اجتهادات العلماء راجعة إلى أدلة الشرع وعموماته.

104- فَهْوَ الشِّفاءُ الذَّي تَحْيَ النُّفُوسُ بِهِ * قَدْ فازَ مُتَّعِظٌ مِنْهُ ومُدَّكِرُ

المعنى: أن القرآن هو الشفاء الذي يُحيي النفوس بمعاني الخير، وتطهيرها من الشر، وقد فاز في الدنيا والآخرة من اتعظ بمواعظ القرآن، «ومُدَّكِر» أي: معتبر ومتعظ، وأصله مذتكر أبدلت التاء دالا مهملة وأدغمت الذال فيها.

قال تعالى: {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا} [الإسراء: 82]. فالقرآن بيان من الضلالة والجهالة، يَتَبَيَّن به المختلف فيه، ويَتَّضِح به المشكل، ويُسْتَشْفَى به من الشبهة، ويُهتدى به من الحيرة، هو شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها، ورحمة للمؤمنين، كما أنه شفاء من الأمراض الظاهرة بالرقى والتعوذ ونحوه.

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناسا من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا في سفر، فمروا بحي من أحياء العرب، فاستضافوهم فلم يضيفوهم، فقالوا لهم: هل فيكم راق؟ فإن سيد الحي لديغ أو مصاب، فقال رجل منهم: نعم، فأتاه فرقاه بفاتحة الكتاب، فبرأ الرجل، فأعطي قطيعا من غنم، فأبى أن يقبلها، وقال: حتى أذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، فقال: يا رسول الله والله ما رقيت إلا بفاتحة الكتاب فتبسم وقال: «وما أدراك أنها رقية؟» ثم قال: «خذوا منهم، واضربوا لي بسهم معكم». وفي مسند أحمد: «وما يدريك أنها رقية؟ قال: قلت: ألقي في رُوعي».

صَلُّوا عَلَى الْمُصْطَفَى الْهادِي بِدَعْوَتِهِ * إِلَى طَرِيقِ الْهُدَى يا مَنْ هُنا حَضَرُوا

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَيْه

فصل في التوسل برسول الله

105- يا أَكْرَمَ الْخَلْقِ يا نِعْمَ الْمَلاذُ لَنا * إِذا جَهَنَّمُ بِالْكُفَّارِ تَسْتَعِرُ

يتوسل الناظم في هذا البيت برسول الله ﷺ، قوله: «يا أَكْرَمَ الْخَلْقِ» كون النبي الكريم ﷺ أكرم الخلق على ربه تبارك وتعالى مما لا خلاف فيه بين العلماء، فهو أفضل المخلوقات، فليس فيما خلق الله أكرم عند الله منه، لا في العالم العلويّ ولا في العالم السفليّ، قال الإمام الفقيه المحدث سراج الدين ابن الملقن في المعين على تفهم الأربعين: «وقوله: "أفضلُ المخلُوقين" أي: مِن أهل السموات والأرضين، ولا شكَّ في ذلك، ودليله قوله عليه الصلاة والسلام: "أَنَا سيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ"، مع أنَّ ولد آدم أفضَلُ أنواع المخلوقات حتى الملائكة على مذهب أهل السنة، ونبينا أفضلها فهو إذن أفضل المخلوقات».

وقال العلامة نجم الدين الطوفي الحنبلي في «التعيين في شرح الأربعين»: «قوله: "أفضل المخلوقين" لقوله عليه الصَّلاة والسلام: "أنا سيد ولد آدم ولا فخر" مع أن ولد آدم أفضل أنواع المخلوقات، فهو عليه الصَّلاة والسلام سيد أفضل أنواع المخلوقات، فهو أفضل المخلوقات بالضرورة».

ولَمَّا كان سيدنا رسول الله أفضل المخلوقات؛ كانت البقعة الشريفة التي احتوت جسده الشريف أفضل البقاع على الإطلاق، قال الإمام ابن عقيل الحنبلي رحمه الله: «سألني سائل أيما أفضل حجرة النبي أم الكعبة؟ فقلت: إن أردت مجرد الحجرة فالكعبة أفضل، وإن أردت وهو ﷺ فيها فلا والله ولا العرش وحملته ولا جنه عدن ولا الأفلاك الدائرة، لأن بالحجرة جسدا لو وزن بالكونين لرجح». نقل ذلك عنه ابن قيِّم الجوزية في كتابه بدائع الفوائد.

وقال الإمام القاضي عياض المالكي في إكمال المعلم بفوائد مسلم: «اجتمعوا على أن موضع قبره عليه السلام أفضل بقاع الأرض، وأن مكة والمدينة أفضل بقاع الأرض».

وقال الإمام شهاب الدين القسطلاني في المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: «وأجمعوا على أن الموضع الذي ضم أعضاءه الشريفة ﷺ أفضل بقاع الأرض، حتى موضع الكعبة، كما قاله ابن عساكر والباجي والقاضي عياض، بل نقل التاج السبكي كما ذكره السيد السمهودي في «فضائل المدينة» عن ابن عقيل الحنبلي أنها أفضل من العرش، وصرح الفاكهاني بتفضيلها على السماوات ولفظه: وأقول أنا وأفضل من بقاع السماوات أيضا».

قوله: «يا نِعْمَ الْمَلاذُ لَنا» ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن الخلق يوم القيامة عند أن يشتد عليهم الهول وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون يلوذون بآدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، وكلٌّ منهم يقول: «نفسي نفسي»، ثم يأتون النبي ﷺ فيقول أنا لها: ويسجد تحت العرش، ويفتح الله على رسوله من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبل نبينا ﷺ ، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك، سل تعطه، واشفع تشفع، فيرفع النبي ﷺ رأسه، ويقول: أمتي يا رب، أمتي يا رب، أمتي يا رب. إلى آخر الحديث. قوله: «إذا جَهَنَّمُ بِالْكُفَّارِ تَسْتَعِرُ» إشارة إلى الحال التي يحصل عندها الشفاعة.

106- ضِقْنا بِما هالَنا ذَرْعاً فَهَلْ قَرُبَتْ * عِنايَةٌ مِنْكَ إِنَّ الْكُلَّ مُفْتَقِرُ

«هَالَنَا» أي: أفزعنا وأخافنا، والهَوْلُ: المخافة من الْأَمر والفزع منه بحيث لَا يدْرِي مَا يهجم عَلَيْهِ مِنْهُ، وَالْجمع أهوالٌ وهُؤُول. وقوله: «ضِقْنا بِما هالَنا ذَرْعاً» كناية عن شدة الانقباض، والعجز عن مدافعة المكروه، ويُقال: ضاق ذرع فلان بكذا إذا وقع في مكروه لا يطيق الخروج منه، وأصله أن يذرع البعير بيديه في سيره ذرعا على قدر سعة خطوه، فإذ حُمِلَ على أكثر من طوقه ضاق عن ذلك، وضعف ومد عنقه، فضيق الذرع عبارة عن ضيق الوسع.

والمقصود من البيت الشكوى ببيان الحال المؤدي إلى الخوف والفزع، وهو عند أهل الله نقص الحضور، وعند من دونهم التكاسل والفتور، إضافة إلى ما حلَّ بالمسلمين في أمر دينهم ودنياهم، وما يجده الجميع من تكالب الأعداء على المسلمين، وفتك المسلمين ببعضهم. وقوله: «فَهَلْ قَرُبَتْ * عِنايَةٌ مِنْكَ» وعنايته ﷺ بشفاعته وسُؤَالِه رَبَّهُ تبارك وتعالى لأمته وأتباعه. وقوله: «إِنَّ الْكُلَّ مُفْتَقِرُ» أي: محتاج إلى شفاعتك ووسيلتك.

والتوسل برسول الله ﷺ مشروع عند المسلمين، واتفق على جوازه جماهير العلماء قديما وحديثاً، وقد ألَّف العلماء فيه مؤلفات، وكتبوا فيه مصنفات، فليرجع إليها من أراد.

والمغيث على الحقيقة هو الله، والمستغيث إنما يذكر من استغاث به على وجه السبب والوسيلة، ولم يفرق جماهير العلماء بين التوسل والاستغاثة، إلا من حيث إن المتوسل صرح بالطلبِ من الله فقال مثلاً: [يا ربُ بجاه نبيك أو بدعاء نبيك أن تجعلني رفيقاً لنبيك المصطفى في الجنة]، وأما المستغيث فخاطب رسول الله ﷺ قائلاً: [أسألك مرافقتك في الجنة]، ولا شك أن مقصود الثاني بقوله: [أسألك مرافقتك في الجنة] هو عين مقصود الأول، ولا فرق بين حياة النبي ﷺ الدنيوية والبرزخية، قال الإمام المجتهد الفقيه الأصولي تقي الدين السبكي في شفاء السقام: «وليس المراد نسبة النبي ﷺ إلى الخلق والاستقلال بالأفعال، هذا لا يقصده مسلم، فصرفُ الكلام إليه ومنْعُهُ من باب التلبيسِ في الدين، والتشويشِ على عوام الموحدين، وإذْ قد تحررت هذه الأنواع والأحوال في الطلب من النبي ﷺ ، وظهر المعنى، فلا عليك في تسميته توسلاً أو تشفعاً أو استغاثة أو تجوهاً أو توجهاً؛ لأن المعنى في جميع ذلك سَواء». وقال أيضاً:

«وأما الاستغاثة: فهي طلب الغوث، وتارة يطلب الغوث من خالقه وهو الله تعالى وحده، كقوله تعالى: {إذ تستغيثون ربكم}.

وتارة يطلب ممن يصح إسناده إليه على سبيل الكسب، ومن هذا النوع الاستغاثة بالنبي ﷺ ... فالله تعالى مُسْتَغَاثٌ فالغوث منه خَلْقاً وإيجاداً، والنبي ﷺ مستغاثٌ والغوث منه تسببًا وكَسْباً).

والأنبياء أحياء في قبورهم بالإجماع، والنبي ﷺ تُعْرَض عليه أعمال أمته ويستغفر لمسيئهم، جاء في مسند البزار المسمى «البحر الزخار» عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: وقال رسول الله ﷺ: «حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم، ووفاتي خير لكم تعرض علي أعمالكم، فما رأيت من خير حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم».

قال الإمام العراقي في تخريج أحاديث الإحياء المسمى «المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار»: «أخرجه البزار من حديث عبد الله بن مسعود ورجاله رجال الصحيح، إلا أن عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي داود وإن أخرج له مسلم ووثقه ابن معين والنسائي فقد ضعفه كثيرون، ورواه الحارث ابن أبي أسامة في مسنده من حديث أنس بنحوه بإسناد ضعيف». وقال في طرح التثريب في شرح التقريب: «وروى أبو بكر البزار في مسنده بإسناد جيد عن ابن مسعود...». وساق الحديث. وقال الإمام السيوطي في مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا: «ابن أبي أسامة في مسنده من حديث بكر بن عبد الله المزني، والبزار من حديث ابن مسعود بسند صحيح».

وفي مسند الحارث عن بكر بن عبد الله المزني قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم، ووفاتي خير لكم تعرض عليَّ أعمالكم، فما كان من حسن حمدت الله عليه، وما كان من سيئ استغفرت الله لكم». وهذا الإسناد ضعفه العراقي كما سبق، وفي إسناده الحسن بن قتيبة وهو ضعيف، وجسر بن فرقد وهو ضعيف.

ورواه القاضي أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق الجهضمي في جزء «فضل الصلاة على النبي ﷺ» فقال: حدثنا سليمان بن حرب قال: ثنا حماد بن زيد قال: ثنا غالب القطان، عن بكر بن عبد الله المزني، قال رسول الله ﷺ: «حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم، فإذا أنا مت كانت وفاتي خيراً لكم، تعرض علي أعمالكم فإن رأيت خيرا حمدت الله، وإن رأيت غير ذلك استغفرت الله لكم». ورجال هذا الإسناد كلهم ثقات، فسليمان بن حرب إمام ثقة، وحماد بن زيد إمام ثقة، وغالب القطان وثقه أحمد، ووثقه ابن معين بعد أن توقف فيه، وبكر بن عبد الله تابعي جليل وإمام ثقة، والسند صحيح، ومثل هذا لا يُقال بالرأي.

ورواه الجهضمي بسند آخر قال: حدثنا الحجاج بن المنهال قال: ثنا حماد بن سلمة، عن كثير أبي الفضل، عن بكر بن عبد الله المزني، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «حياتي خير لكم، ووفاتي لكم خير، تحدثون فيحدث لكم فإذا أنا مت عرضت عليَّ أعمالكم، فإن رأيت خيراً حمدت الله وإن رأيت شراً استغفرت الله لكم». ورجاله ثقات أيضاً.

107- إنْ لَمْ تَكُنْ فِي مُهِمِّ الْخَطْبِ تَنْصُرُنا * فَمَنْ بِهِ يا رَسُولَ اللهِ نَنْتَصِرُ

أي: إن لم تكن يا رسول الله في الخطب المهم، وهو يوم الحساب تنصرنا بالشفاعة فلا ناصر لنا، لأن أولي العزم يقولون نفسي نفسي.

وإذا كان هذا البيت في الشفاعة العظمى، فلا مانع من أخذه على عمومه، فإن مقصود المستغيث هو التوسل برسول الله ﷺ، والطلب وإن كان مُوَجَّهَاً إلى رسول الله ﷺ فإنما هو باعتباره سبباً ومُكْتَسِبَاً، لا باعتباره خالقاً ومُوْجِدَاً.

قال الإمام شهاب الدين أحمد الرملي الشافعي في فتاويه: «الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والأولياء والعلماء والصالحين جائزة وللرسل والأنبياء والأولياء والصالحين إغاثة بعد موتهم؛ لأن معجزة الأنبياء وكرامات الأولياء لا تنقطع بموتهم».

فانظر تعليله الذي ختم به الفتوى، فإنه جعل الإغاثة مندرجةً تحت المعجزة والكرامة، وكلاهما أمر خارق للعادة يجريه الله تعالى، فالفاعل إذاً هو المولى جل جلاله، ولم ينظر العلماء والأئمة للتوسل والاستغاثة إلا بهذا النظر، ولذا لم يجدوا فيه بأساً.

108- فَغارَةً يا غِياثَ الْخَلْقِ مُسْرِعَةً * عَلَى الْعِدا لِيَزُولَ الْخَوْفُ وَالْحَذَرُ

أي: نطلب منك يا رسول الله وأنت وسيلتنا إلى الله غارةً سريعة يحصل لنا بها من فضل الله وخلقه وإكرامه نفعاً وصلاحاً لأحوالنا، ونصراً على أعدائنا كالنفس والشيطان والدنيا والمعاندين من الكفار، يحصل لنا بهذه الغارة زوال الخوف والحذر، ولا يخفى على مُسْلِمٍ أن الطلب من النبي إنما هو على وجه التسبب والاكتساب، وأن الخالق المغيث على الحقيقة هو الله وحده لا شريك له، وسُمِّيَ المطرُ غَيْثَاً لأنه سبب في خروج الثمر، وحُصول القوت.

109- ونَجْدَةً مِنْ عَظِيمِ الْكَرْبِ مُنْجِدَةً * مُجِدَّةً فِي السُّرَى يَصْفُو بِها الْكَدَرُ

النجدة: العون والإغاثة، و «عَظِيمِ الكَرْبِ» من إضافة الصفة إلى الموصوف، أي: الكرب العظيم، و «مُنْجِدَةً» أي: مُعِيْنَةً يحصل بها مطلوبنا، «مُجِدَّةً في السُّرَى» أي: مُجْتَهِدة مُسرعةً، والسُّرَى: السير ليلاً. «يَصْفُو بِها الْكَدَرُ» أي: يحصل بها صفاء القلب من آفاته، ويزول عنه الْحُجُب المانعة لكثير من الواردات الإلهية والنفحات الربانية، وشبه هذه الحجب بالكدر الذي أصاب الماء حتى أزال نقاءه.

110- فَما لَنا مَلْجَأٌ إِلَّا جَنابَكَ يا * خَيْرَ الْبَرِيَّةِ إِذْ يُسْتَعْظَمُ الْخَطَرُ

أي ليس لنا عند أن يَعْظُم الخطر، ويقف الناس في عرصات القيامة، وتعظُم عليهم الأهوال إلا الاستغاثة بك يا صاحب الجناب الرفيع، والمنزلة العالية، وأصل كلمة «الْجَنَاب» الفناء، ويُقَال: أنا في جناب زيد أي فنائه ومحلته.

111- تاللهِ أُقْسِمُ ما وافاكَ مُنْكَسِرٌ * إِلَّا وأَصْبَحَ مِنْهُ الْكَسْرُ يَنْجَبِرُ

«وافاكَ» أي: أتاك. «مُنْكَسر» أي: مهزوم مهموم بسبب دَيْنٍ أو حاجةٍ، أو كَسَرَتْه الذنوب والمعاصي، فلا يرجع واحدٌ من هؤلاء إلا وقد جبرتَ كسره يا رسول الله.

112- ولَا احتَمَى بِحِمَاكَ الْمُحْتَمِي فَزَعَاً * إلا وَعَادَ بِأَمْنٍ مَالَه خَفَرُ

«الحِمَى» هو الموضع الذي يتم حمايته وتأمينه ورعايته، والمعنى: أنه ما قصدك أحدٌ لينال الحماية والأمان بسبب خوفٍ أو عدو إلا ووجد عندك الأمن على نفسه وماله وأهله، وهذا الأمان الذي وجده عندك ليس له من يَخْفِرُه؛ أي: ليس أحدٌ يقدر على أن ينقض تأمينك له، وحمايتك إياه.

113- ولا أتَاكَ فَقِيْرُ الحَالِ ذُو أَمَلٍ * إلا وَفَاضَ مِنَ الاثْرَا لَهُ نَهَرُ

قوله: «ذُو أمَلٍ» صفة فقير، أي ما جاءك فقير إلا وكان متصفاً بالأمل، واثقاً بجودك وعطائك يا رسول الله، لأنه يعلمُ أنه يأتي بحرَ الكرم، ومنبع الجود، ومحل السخاء.

قوله: «إلا وفاض» أي: كَثُرَ. قوله: «من الإثْرَى» يحتمل أن يكون متعلقاً بـ «فاض»، ويحتمل أن يكون حالاً من «نهر».

وقد أجمع الواصفون لرسول الله ﷺ أنه بلغ الغاية في الجود والكرم والسخاء.

وفي الصحيحين وغيرهما عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس).

وفي الصحيحين أيضاً عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس، وأشجع الناس، وأجود الناس، ولقد فزع أهل المدينة فكان النبي صلى الله عليه وسلم سبقهم على فرس).

وفي سنن الدارمي عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: (ما رأيت أحدا أنجد، ولا أجود، ولا أشجع، ولا أضوأ من رسول الله صلى الله عليه وسلم).

وفي مسند إسحاق بن راهوية أن السيدة عائشة رضي الله عنها وصفت رسول الله ﷺ فقالت: (كان ألين الناس وأكرم الناس، كان رجلا من رجالكم إلا أنه كان ضحاكاً بساماً).

وفي مصنف ابن أبي شيبة وشعب الإيمان للبيهقي عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه وصف رسول الله ﷺ بوصف طويل مما ورد فيه: « أجود الناس كفا، وأجرأ الناس صدراً، وأصدق الناس لهجةً، وأوفى الناس بذمةٍ، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة».

ويذكر لنا سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه موقفاً من مواقف الكرم والجود والسخاء، ففي صحيح مسلم عن أنس قال: (ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام شيئا إلا أعطاه، قال: فجاءه رجل فأعطاه غنما بين جبلين، فرجع إلى قومه، فقال: يا قوم أسلموا، فإن محمدا يعطي عطاء لا يخشى الفاقة).

وفي مسند أحمد من حديث عائشة رضي الله عنها تصف النبي ﷺ: (ولا سئل شيئا قط فمنعه، إلا أن يسأل مأثما، فإنه كان أبعد الناس منه).

بل كان الرجل يسأل النبي ﷺ، وليس عند النبي ﷺ ما يعطيه له، فيرشده النبي ﷺ إلى أن يشتري حاجته دَيْنَاً باسم النبي ﷺ إلى أن يجد النبي ﷺ مالاً فيقضيه.

روى الإمام الترمذي في الشمائل عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه فقال النبي ﷺ ما عندي شيء ولكن ابتع علي، فإذا جاءني شيء قضيته. فقال عمر يا رسول الله قد أعطيته، فما كلفك الله ما لا تقدر عليه، فكره النبي ﷺ قول عمر، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أنفق ولا تخف من ذي العرش إقلالا. فتبسم رسول الله ﷺ وعرف البشر في وجهه لقول الأنصاري ثم قال بهذا أمرت.

والأحاديث في ذلك كثيرة.

114- وَلَا أَتَاك امْرُؤ مِن ذَنْبِهِ وَجِلٌ * إلا وَعَادَ بِعَفْوٍ وهْوَ مُغْتَفَرُ

أي: ولا جاء إليك شخص وَجِلٌ (أي: خائف) من عاقبة ذنوبه إلا ورجع بعد دعائك له، وتوسله بك، وشفاعتك له وقد عفا الله عنه، وغفر له ذنبه، وهذا البيت من الناظم تصديقه في كتاب الله تعالى، قال سبحانه: {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا} [النساء: 64].

وقد أورد أئمة الإسلام الذين عليهم المعول في معرفة الحلال والحرام ما ذكره العتبي مع الإقرار لما تضمنه الخبر، كالبيهقي والماوردي وابن قدامة المقدسي الحنبلي وغيرهم، قال الإمام النووي في كتابيه (المجموع) و (الأذكار): « ثم يرجع إلى موقفه الأول قبالة وجه رسول الله ﷺ ويتوسل به في حق نفسه ويستشفع به إلى ربه سبحانه وتعالى، ومن أحسن ما يقول ما حكاه الماوردي والقاضي أبو الطيب وسائر أصحابنا عن العتبي مستحسنين له قال: كنت جالسا عند قبر رسول الله ﷺ فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول: {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً} [النساء: 64] وقد جئتك مستغفرا من ذنبي مستشفعا بك إلى ربي ثم أنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكم

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف فحملتني عيناي فرأيت النبي ﷺ في النوم فقال يا عتبي الحق الأعرابي فبشره بأن الله تعالى قد غفر له».

وقد كان من هدي رسول الله ﷺ الرفق واللطف، فيأتيه من تعلقت نفسه بالذنب حتى تعسر عليه تركه، فيجد من حكمة رسول الله وبركته ودعائه ما يُطَهِّرُ قلبه، روى الإمام أحمد في مسنده والطبراني في معجمه الكبير عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: إن فتى شابا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه. مه. فقال النبي ﷺ: ادنه، فدنا منه قريبا. قال: فجلس قال: أتحبه لأمك؟ قال: لا والله؛ جعلني الله فداءك. قال ﷺ: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم. قال ﷺ: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله؛ جعلني الله

فداءك. قال ﷺ : ولا الناس يحبونه لبناتهم. قال ﷺ: أفتحبه لأختك؟ قال: لا والله؛ جعلني الله فداءك. قال ﷺ: ولا الناس يحبونه لأخواتهم. قال ﷺ: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا والله؛ جعلني الله فداءك. قال ﷺ: ولا الناس يحبونه لعماتهم. قال ﷺ: أفتحبه لخالتك؟ قال: لا والله؛ جعلني الله فداءك. قال ﷺ: ولا الناس يحبونه لخالاتهم. قال: فوضع يده عليه وقال ﷺ: «اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحصن فرجه». قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء.

115- وَلَا دَعَاكَ لَهِيْفٌ عِنْدَ نازِلَةٍ * إلَّا وَلَبَّاهُ مِنْكَ الْعَوْنُ والْيَسَرُ

«لهيف» أي: مظلوم مستغيث. «نازلة» أي: مصيبة أو حاجة نزلت به. «لَبَّاه» التَّلْبية: الإجابة، تقول: لَبَّيْكَ، معناه: قرباً منك وطاعة، لأنّ الإلباب القرب.

والمعنى العام: أنه لم يطلب منك أحد كانت له حاجة، أو نزلت به نازلة إلا حصل منك على العون والتيسير.

أورد ابن هشام في السيرة، وأبو نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة أنه قدم رجل من إراش بإبل له مكة فابتاعها منه أبو جهل بن هشام فمطله بأثمانها، فأقبل الأراشيّ حتى وقف على نادي قريش، فقال: يا معشر قريش، إني غريب وابن سبيل، وقد غلبني أبو الحكم بن هشام على حقي، فرجل منكم يأخذ حقي منه؟ فقال أهل المجلس: ترى ذلك الرجل [يشيرون إلى رسول الله ﷺ، وهم يهزءون به لما يعلمون ما بينه وبين أبي جهل من العداوة] اذهب إليه فهو يؤديك عليه فأقبل الإراشي حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا عبد الله إن أبا الحكم بن هشام قد غلبني على حق لي، وأنا غريب ابن سبيل وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يؤديني عليه يأخذ لي حقي منه فأشاروا لي إليك، فخذ لي حقي منه رحمك الله، قال انطلق إليه وقام رسول الله ﷺ معه فلما رأوه قام معه قالوا لرجل ممن كان معهم: اتبعه انظر ماذا يصنع. قال: وخرج رسول الله ﷺ حتى جاءه فضرب عليه بابه فقال: من هذا؟ فقال: محمد فاخرج إليَّ قال: فخرج إليه وما في وجهه رائحة قد انتقع لونه. فقال له: أعط هذا الرجل حقه قال: نعم لا تبرح

حتى أعطيه الذي له قال: فدخل فخرج إليه بحقه فدفعه إليه ثم انصرف رسول الله ﷺ وقال للإراشي: إلحق بشأنك قال: فأقبل الإراشي حتى وقف على ذلك المجلس فقال: جزاه الله خيرا فقد والله أخذ لي الذي لي.

قال: وجاء الرجل الذي بعثوا معه فقالوا: ويحك ماذا رأيت؟ قال: رأيت عجبا من العجب والله إن هو إلا أن ضرب عليه بابه فخرج إليه وما معه روحه فقال: أعط هذا حقه. قال: نعم لا تبرح حتى أخرج إليه حقه قال: فدخل ثم خرج إليه بحقه فأعطاه إياه قال: فلم يلبثوا أن جاءهم أبو جهل فقالوا له: ويلك ما لك والله ما رأينا مثل ما صنعت؟ فقال: ويحكم والله إن هو إلا أن ضرب الباب وسمعت صوته فملئت منه رعبا، فخرجت إليه وإن فوق رأسه لفحلا من الإبل ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط، والله لو أبيت لأكلني [وفي رواية] فقالوا لأبي جهل: فَرِقْتَ (أي: خُفتَ) من محمد كل هذا؟ قال: والذي نفسي بيده لقد رأيت معه رجالا معهم حراب تلألأ – قال أبو قزعة في حديثه –: حرابا تلمع ولو لم أعطه لخفت أن يبعج بها بطني.

116- وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُوْلِ الله نُصْرَتُهُ * فالفَتْحُ مِنْ جُنْدِهِ والنَّصْرُ والظَّفَرُ

المعنى: أنَّ من أكرمه الله تعالى وأيده ونصره برسول الله ﷺ فلا بدَّ أن يكون له الفتح في أمر دينه ودنياه، والنصر والظفر (أي: الحصول على مطلوبه)، ويكون الفتح والنصر والظفر عند حاجته كالجندي الذي يكون في خدمة قائده.

117- هَذا دُعَاءُ الحُسَيْنِ الْمُرْتَجِي جَمَلِ * اللَّيْل الَّذِي سَادَتِي أَنْتُم لَهُ وَزَرُ

أي: ما سبق من دعاء الله تعالى والتوسل برسول الله ﷺ هو دعاء الحسين جمل الليل الذي يرجو الله تعالى أن يحقق له مطلوبه، ويعطيه مرغوبه، وكيف لا يكون له ذلك، وهو مستعين ومتوسل بسيد الأولين والآخرين سيدنا محمد ﷺ الذي هو خير معين وموازر.

118- دَعَاكُمُ مُسْتَغِيْثاً رَاجِيَا أَمَلاً * فَهَلْ لَهُ مِنْ سَوَارِي لُطْفِكُم نَظَرُ

المعنى: أني أتوسل وأستشفع وأستغيث بكم يا رسول الله لتحقيق مقاصدي الدنيوية والأخروية، راجياً أن ينالني منكم نظرةُ تقريب وعناية ولطف تغمرني وتُبَلِّغَني مرامي ومرادي. وهذا كله من التوسع في العبارات، ومقصوده بهذه الأبيات هو مقصود جمهور العلماء الذين أجازوا التوسل والاستغاثة.

119- وسائِلاً نَصْرَ مَوْلانَا وسَيِّدَنَا الـ * سُلْطَان عَبْدِ الحَمِيْد فهو يَنْتَصِرُ

أي: وأسأل الله تعالى أن ينصر مولانا (أي: حاكمنا) السلطان عبد الحميد، (والمولى) في اللغة تأتي بمعنى المعتِق والمعتَق، والصاحب، والحليف، وابن العم، والناصر، والجار، والوالي.

ولد السلطان عبد الحميد يوم الأربعاء 16 شعبان 1258 هـ ، 22 سبتمبر 1842م، وتوفي في 28 ربيع الآخر 1336 هـ، 10 فبراير 1918م، عن سبع وسبعين عامًا، وهو ابن السلطان عبد المجيد الأول، تعلم السلطان عبد الحميد العربية والفارسية والأدب والتاريخ والعلوم العسكرية والسياسية، وكان يحب النجارة، والتقى في أثناء خلافة عمه بعدد من ملوك العالم الذين زاروا إستانبول، وعُرف عنه مزاولة الرياضة وركوب الخيل والمحافظة على العبادات والشعائر الإسلامية، والبعد عن المحرمات.

بويع عبد الحميد بالخلافة في 9 شعبان 1293 هـ، 31 أغسطس 1876م، وكان في الرابعة والثلاثين من عمره، وزمن خلافته مليء بالأحداث والفتن التي أحاطت بالمسلمين من الشرق والغرب.

وبعد أحداث مؤلمة تنازل السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش لأخيه محمد رشاد في 6 ربيع آخر 1327 هـ، 27 إبريل 1909م، وانتقل مع 38 شخصًا من حاشيته إلى سلانيك بطريقة مهينة ليقيم في المدينة ذات الطابع اليهودي، في قصر يمتلكه يهودي بعد أخذ جميع أملاكه وأمواله، وقضى في قصره بسلانيك سنوات مفجعة تحت رقابة شديدة جدًا، ولم يسمح له حتى بقراءة الصحف.

كتب الفيلسوف التركي «رضا توفيق» وهو من كبار رجال «حزب الاتحاد والترقي» الحزب المعارض لحكم السلطان عبد الحميد، والذي عمل أفراده على إسقاط نظام (الخلافة الإسلامية) بالتعاون مع دول أوربا، كتب هذا الفيلسوف قصيدة بالتركية بعد وفاة السلطان عبد الحميد يخاطبه فيها، فيقول: [وهذه ترجمتها إلى العربية]:

«عندما يذكر التاريخ اسمك، يكون الحق في جانبك ومعك يا أيها السلطان العظيم، كنا نحن الذين افترينا دون حياء على أعظم سياسي العصر، قلنا إنَّ السلطانَ ظالم وإنَّ السلطان مجنون، قلنا لا بد من الثورة على السلطان، وصدقنا كل ما قاله لنا الشيطان، وعملنا على إيقاظ الفتنة، لم تكن أنت المجنون، بل نحن ولم نكن ندري، علقنا القلادة على فتيل واهٍ، لم نكن مجانين فحسب، بل كنا قد عدمنا الأخلاق، فلقد بصقنا أيها السلطان العظيم على قبلة الأجداد».

120- وَزَادَ عِزّاً إِلَهُ الْعَرْشِ سَادَتَنَا * مُلُوْكَ مَكَّةَ هُمْ أَشْرَافُهَا الغُرَرُ

أي: وزاد اللهُ سادتنا أمراء مكة عِزّاً فهم «أشرافها» جمع شريف، والشريف في اللغة: الرجل العالي المنزلة والقدر. وأما في العرف فهو لقب يضاف للمنتسبين لآل بيت النبوة، وهو عرف قديم ظاهر في مؤلفات العلماء من القرن الثالث الهجري، قال الإمام جلال الدين السيوطي رحمه الله في الحاوي للفتاوي: «اسم الشريف كان يطلق في الصدر الأول على كل من كان من أهل البيت سواء كان حسنياً أم حُسينياً أم علوياً من ذرية محمد بن الحنفية وغيره من أولاد علي بن أبي طالب، أم جعفريا أم عقيلياً أم عباسيا، ولهذا تجد تاريخ الحافظ الذهبي مشحونا في التراجم بذلك يقول: الشريف العباسي، الشريف العقيلي، الشريف الجعفري، الشريف الزينبي».

وقوله: «الغُرَر» يُقال: رجل أغر؛ أي شريف. وفلان غرة قومه أي سيدهم. وغرة كل شيء أوله وأكرمه.

121- وَمَنَّ بالخَصْبِ فِيْ أَسْعَارِ بلْدَتِنَا * أمّ القُرَى بِمُلِثٍّ دَامَ يَنْهَمِرُ

أي: وتفضل علينا يا مولنا يا الله «بالخَصْبِ» أي: بالرُّخْصِ في الأسعار. «أمِّ القُرَى» وهي مكة، وأم الشيء استعارة شائعة في الأمر الذي يُرْجَع إليه، ويُلْتَف حوله، وحقيقة الأم الأنثى التي تلد الطفل فيرجع الولد إليها ويلازمها، وشاعت استعارة الأم للأصل والمرجع حتى صارت حقيقة، ومنه سميت الراية أُمّاً، وسمي أعلى الرأس أم الرأس، والفاتحة أم القرآن. وإنما سميت مكة أم القرى لأنها أقدم القرى وأشهرها، وما تَقَرَّتْ القُرى في بلاد العرب إلا بعدها، فسماها العرب أم القرى، وكان عرب الحجاز قبلها سكان خيام، قال تعالى: {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا} [الأنعام: 92].

قوله: «بِمُلِثٍّ» أي: سحاب مليء بالغيث والخير، مال لونه للسواد لكثرته ودوامه. قوله: «دَامَ يَنْهَمِرُ» يُقَال: انهمر الدمع والمطر إذا سال وانصَبَّ انصبابا شديدا.

122- وَعَمَّ كُلَّ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ بِمَا * يَنْهَلُّ بِالْخَيْرِ فِي ساحَاتِهَا المطَرُ

«يَنْهَلُّ» يقال: انهل المطر انهلالاً إذا سال بشدة. والمعنى: أننا نرجوك يا الله ونطلب منك أن تتكرم علينا وعلى سائر المسلمين بالغيث والخير الذي يعم بلاد المسلمين، وينتج عنه الخصب والثمر والقوت.

123- وَلِلَّذِي قَد سَعَى في جَمْعِ مَجْلِسِنَا * أَجْرٌ عَظِيْمٌ لِيَومِ الْعَرْضِ مُدَّخَرُ

أي: ونسألك أيضاً يا ربنا أجراً عظيماً «مُدَّخَراً» أي مخزونا محفوظاً عندك لمن كان سبباً في عقد مجلس الذكر، وسماع المولد الشريف، ولا شك في عظيمِ فضلِ مجالس الذكر، وقد ورد في فضلها أحاديث كثيرة وفيرة، أقتصر على حديث منها رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة، فضلا يتتبعون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلسا فيه ذكر قعدوا معهم، وحف بعضهم بعضا بأجنحتهم، حتى يملئوا ما بينهم وبين السماء الدنيا، فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء، قال: فيسألهم الله عز وجل، وهو أعلم بهم: من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عباد لك في الأرض، يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك، قال: وماذا يسألوني؟ قالوا:

يسألونك جنتك، قال: وهل رأوا جنتي؟ قالوا: لا، أي رب قال: فكيف لو رأوا جنتي؟ قالوا: ويستجيرونك، قال: ومم يستجيرونني؟ قالوا: من نارك يا رب، قال: وهل رأوا ناري؟ قالوا: لا، قال: فكيف لو رأوا ناري؟ قالوا: ويستغفرونك، قال: فيقول: قد غفرت لهم فأعطيتهم ما سألوا، وأجرتهم مما استجاروا، قال: فيقولون: رب فيهم فلان عبد خطاء، إنما مر فجلس معهم، قال: فيقول: وله غفرت هم القوم لا يشقى بهم جليسهم».

وإذا كان هذا الفضل العظيم في حضور مجالس الذكر، فلا شك أن من كان سببا في مجلس الذكر، ومشاركاً للذاكرين في ذكرهم قد فاز بأجرين، أجر الذكر، وأجر الدلالة عليه والتسبب فيه، روى مسلم في صحيحه عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «من دل على خير فله مثل أجر فاعله».

124- وَلِلَّذِي كانَ يَتْلُو ثُمَّ سَامِعِهِ * وَكُلِّ مَنْ هَاهُنَا يُقْضَى لَهُ الْوَطَرُ

أي: وتكرم وتفضل يا ربنا على التالي للقرآن والذكر، والسامع لهذا الخير، وجميع الحاضرين بقضاء أوطارهم، والوطر الحاجة.

125- فاعْطِفْ إِلَهِي عَلَيْنَا قَلْبَ سَيِّدِنَا * خَيْرِ الأنَامِ فَمِنْهُ الْعَطْفُ مُنْتَظَرُ

«فاعْطِف» العطف الشفقة والرحمة، وقد كان رسول الله عظيم العطف والشفقة بأمته، وقد وصفه الله تعالى في كتابه فقال: {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا} [الكهف: 6]. وقال سبحانه: {فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} [فاطر: 8]. ومن مظاهر شفقته ﷺ أنه كان يترك بعض الطاعات شفقة على أمته حتى لا تُفْرَضَ عليهم.

قوله: «خَيْرِ الأنَامِ» أي: الخلق، أو كل من يعتريه النوم، أو الجن والإنس، أو جميع ما على وجه الأرض. وأما الكلام عن كون النبي الكريم أكرم وأفضل الخلق فقد سبق.

126- صَلَّى وسَلَّم مَنْ أَوْلَاه كُلَّ عُلَا * عَلَيْه ما جَنَّ لَيْلٌ أَوْ بَدَا سَحَرُ

«أَوْلَاه» أي أكرمه بكرامات متواليات متتابعات. «كُلَّ عُلَا» في الدنيا والآخرة. «ما جَنَّ لَيْلٌ» أي: ما أظَلَم ليلٌ، أو ما اشتدت ظُلْمَتُه. «أَوْ بَدَا سَحَرُ» السَّحْرُ بسكون الحاء وفتحها هو آخر اللَّيْل. وقيل: الوقت الذي قبل طُلُوع الْفجْر. والمقصود هو الصلاة على النبي ﷺ في كل وقت وحين، ليلاً ونهاراً.

127- وآلِهِ الْغُرِّ والأصْحَابِ أجْمَعِهِم * العابِدِينَ بإخْلاصٍ كَمَا أُمِروا

سبق بيان معنى الآل، و «الغُر» أي: الشرفاء أصحاب التقدم والرفعة، وأضاف الناظم إلى الصلاة على النبي ﷺ الصلاة على الآل والأصحاب، وعلى هذا جرى أهل السنة والجماعة، الذين أكرمهم الله بمحبة آل النبي ﷺ وآله وصحابته.

128- والتَّابِعِيْنَ بِإِحْسَانٍ لَهُم وَكَذَا * يَعُمُّ إِلَهِي كُلَّ مَنْ حَضَرُوا

«التابعين» التابعي في الاصطلاح: هو المسلم الذي لقي واحداً من أصحاب النبي ﷺ، والمقصود بالتابعين بإحسان كل من سار على نهج النبي ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم إلى آخر الزمان. « وَكَذَا يَعُمُّ» أي: يشمل كل من حضر هذا المولد الشريف.

اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه

الفهرس